

العدد ١١١٨ - الاثنين ٣٠ جمادى الأولي ١٤٤٣هـ - الموافق ٣/ ١/ ٢٠٢٢م

الإسلام دين الوسطية

﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾



في هذا العدد

الفرقان

مجلة إسلامية أسبوعية تصدر عن جمعية إحياء التراث الإسلامي

الفرقان ١١١٨ - ٣٠ جمادى الأولى ١٤٤٣هـ
الاثنين - ٣/١/٢٠٢٢م

رئيس مجلس الإدارة
طارق سامي العيسى

رئيس التحرير
سالم أحمد الناشي

www.al-forqan.net
E-mail: forqany@hotmail.com

المراسلات

دولة الكويت

ص.ب ٢٧٢٧١ الصفاة
الرمز البريدي ١٣١٣٣
هاتف: ٢٥٣٦٢٧٣٣ (مباشر)
الخط الساخن: ٩٧٢٨٨٩٩٤
٢٥٣٤٨٦٥٩-٢٥٣٤٨٦٦٤ داخلي (٢٧٣٣)
فاكس: ٢٥٣٦٢٧٤٠

حساب مجلة الفرقان
بيت التمويل الكويتي
01101036691/2



طبعت في مطابع لاكي

الاشتراكات

الاشتراكات السنوية

- ١٥ دينارا للأفراد (أول مرة)
- ١١ دينارا التجديد لمدة سنة
- ٢٥ دينارا للمؤسسات والشركات داخل الكويت أو ما يعادل ١٠٠ دولارا أمريكيا لمثيلاتها خارج الكويت.
- ٢٠ ديناراً كويتياً (للدول العربية)
- ٣٠ ديناراً كويتياً (للدول الأجنبية)

وكلاء التوزيع

- دولة الكويت:

شركة الخليج للتوزيع
هاتف: ٢٤٨٣٦٦٨٠
: ٢٤٨١١٦٦٦

سعر النسخة في الكويت ٢٥٠ فلسا

السعودية ٤ ريالات - البحرين ٣٥٠ فلسا - قطر ٤ ريالات - سلطنة عمان ٥٠٠ بيسة - الأردن ٥٠٠ فلس - المغرب ٥ دراهم - الإمارات ٤ دراهم



الوسطية سمة للأمة كي تبقى وتستمر

من خصائص أهل السنة والجماعة أنهم أهل الوسطية والاعتدال؛ فهم يؤمنون بالكتاب كله، وبما ثبت عن رسول الله ﷺ؛ فلا يأخذون ببعض النصوص دون بعض، وقد ذم الله -تعالى- من كان هذا حاله فقال: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ (البقرة:٨٥)، أو يتخيرون من النصوص ما يوافق أهواءهم: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ (آل عمران: ٧).

فهم يحكمون النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، ويقدمونها على الآراء والعقول والأهواء، فالعقول والآراء عندهم تابعة للنصوص لا حاكمة عليها؛ لأن النصوص ربانية منضبطة، والأذواق والأهواء بشرية لا ضابط لها؛ فمن التزم الوحي نجا، ومن اتبع هواه ضل، كما تواترت بذلك النصوص.

ومن خصائص وسطيتهم: أنهم متجردون من الأهواء المضلة؛ وجهتهم الحق؛ فلا ينتصرون لكبير أو صغير على حساب الحق، ولا يقدمون رأي شخص أو جماعة أو حزب على الدليل الثابت، بل يدورون مع الحق والدليل حيث دار.

وهم موافقون للكتاب والسنة نهجًا وعلمًا وعملاً، فمن لم يوافق منهجه ما في الكتاب والسنة فهو ليس بصادق في دعواه؛ لأنه طلب علم الشرع وما جاء به الوحي في غير مظانّه، لذلك كذب في دعواه، قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: «وكل علم دين لا يطلب من القرآن فهو ضلال كفاسد علم الفلاسفة والمتكلمة والمتصوفة والمتفقهة» (الاستقامة لشيخ الإسلام بن تيمية)

ومن وسطية أهل السنة والجماعة أنهم استرشدوا بفهم السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم من أهل القرون الثلاثة المفضلة، ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾(الأنعام:٩٠)، وقال -تعالى-: ﴿فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ (البقرة:١٣٧).

ومن دلائل وسطية أهل السنة والجماعة قيام منهجهم على العلم الراسخ الصحيح، المدعوم بنصوص الكتاب والسنة، أو بآثار عن الصحابة الكرام ولاسيما الخلفاء الراشدين المهديين، أو يكون من اجتهادات أهل العلم الراسخين في ذلك.

ومن دلائل وسطية أهل السنة واعتدالهم: العدل في الأحكام والتصرفات، والبراءة من الهوى، الذي يكون غالبًا هو المحرك لطرفي الأمر، إما الغلو والإفراط، أو الجفاء والتفريط، أمّا الوسط المبني على العدل والحق فإنه يبرأ من الهوى، ولا سبيل لذلك إلا بالعلم الصحيح وإخلاص النية لله -تعالى- والصدق معه.

إن الوسطية سمة لهذه الأمة كي تبقى وتستمر؛ فلا بقاء للغلاة، ولا بقاء للجفاة، وإنما الذي يبقى من كان على المنهج القويم متعلماً، عاملاً، معلمًا، داعيًا ناصحاً مخلصاً لهذه الأمة، فلنحذر أسباب الانحراف عن الوسطية، من: الجهل، والهوى، والابتداع في الدين، وغلبة العاطفة على العقل، واستعجال النتائج فيما هو مشروع، فضلاً عن طلب نتائج مرفوضة أو غير مشروعة.

أخبار الجمعية

قدمتها لجنة مسلمي آسيا الوسطى ضمن مشاريعها لموسم الشتاء

٩٠٠ طن من الفحم للأسر الفقيرة في قرغيزستان



ضمن مشاريعها لموسم شتاء هذا العام، بدأت لجنة مسلمي آسيا الوسطى بتوزيع (٩٠٠) طن من فحم التدفئة ومواد إغاثية أخرى للأسر الفقيرة والأرامل والأيتام في جمهورية قرغيزستان، وذلك من خلال حملة إغاثية موسمية تحت شعار: (تدفئة الشتاء)، وهي حملة تستهدف التخفيف من معاناة الأسر الفقيرة هناك، في ظل الانخفاض الكبير لدرجات الحرارة في هذه الأيام، التي تصل لما يقارب من (٣٠) درجة تحت الصفر، والمنتظر لها أن تشتد خلال الأيام القليلة القادمة، وقد أوضحت لجنة مسلمي آسيا الوسطى التابعة للجمعية والمشرفة على هذا المشروع أنها وزعت حتى الآن (٩٠٠) طن من الفحم على الأسر الفقيرة المحتاجة وأسر الأيتام في (٩) مناطق في ولايات مختلفة في قرغيزستان، وقد بلغ عدد هذه الأسر ما يقارب من (١٨٠٢) أسرة، كذلك تم التوزيع على بعض المرافق مثل: المراكز والمدارس الإسلامية والمساجد.

تحت شعار (دروب الخير)

القطاع النسائي بالتراث يقيم دورات في الحديث والتفسير للنساء

محاضرات أسبوعية كل يوم اثنين تحت شعار: (دورات دروب الخير) ضمن أنشطة وفعاليات عديدة ينظمها القطاع النسائي بجمعية إحياء التراث الإسلامي في مختلف مناطق الكويت، وذلك من خلال الإدارات والفروع النسائية التابعة له، فقد حرصت إدارة العمل النسائي التابعة للجمعية -وضمن برنامج ثقافي- على تنظيم محاضرات أسبوعية بهدف تعليم النساء وتثقيفهن بالعلوم والأحكام الشرعية، ولحثهن على الدعوة إلى الله وفق أسس ترتكز على كتاب الله وسنة نبيه -ﷺ-، وذلك تحت شعار: (دورات دروب الخير)، ومن أبرز هذه الدروس (فقر العبودية من لطائف ابن القيم الجوزية) للداعية أ. ذكريات المسيعيد، ودرس (اسم الله الستير) د. سعاد الشيحة، ودرس حول (فضل الصلاة على النبي -ﷺ) لـ نجاة التنيب، ودرس بعنوان: (في رياض القرآن) لـ ملكة عبدالصمد.

حلقة زاد المتقين

كما نظمت حلقة زاد المتقين في نسائية التراث بمبارك الكبير عددا من الفعاليات، منها: دروس في تفسير سورة (النساء) كل يوم ثلاثاء، فضلا عن العديد من الدروس الشرعية الأخرى مثل: درس (الابتلاء) لـ فوزية الصانع، ودرس (ماذا استفدنا؟) لـ غدير الشراح، ودرس أسماء النجدي بعنوان: (قصص الأنبياء)، فضلا عن درس حول (ما يندفع به شر الحسد) ألقته حنين الصانع، الذي وضحت فيه الوسائل المعينة على دفع شر الحسد، ومنها الاستعانة بالله وحده، والتحصن به بترديد أذكار الصباح والمساء، وتقوى الله -عز وجل- والتوكل عليه، فالتوكل على الله من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد أذى الخلق، وذلك بهدف تعليم النساء العلم الشرعي ونشره والتفقه بالدين، وإرشادهن إلى هدي النبي -ﷺ- واتباعه في كل الأعمال والأقوال.

لقاء نسائم الخير

أما لجنة هدية النسائية فقد نظمت لقاء حافلا للنساء بعنوان: (نسائم الخير)، احتوى على العديد من الفعاليات مثل: خاطرة حول (فضل الصدقة على العباد والبلاد) ألقتها نهاد القطان، ثم ألقت هيا العويد درسا بعنوان: (الله لطيف بعباده)؛ حيث شرحت فيه أسماء الله وصفاته؛ مما يرشد المرأة المسلمة إلى كمال التوحيد من خلال تعظيم الله وخشيته والتمسك به ورجائه، ومن ثم الوصول إلى الصلاح، كما نُظمت من خلال اللقاء المسابقات الترفيهية، وإقامة معرض متنوع، وفقرة من صنع يدي، وفي الختام كُرمت المتميزات في نادي القراءة ووزعت الهدايا.

قواعد وفوائد من الأربعين النووية

كما حرصت لجنة بيان النسائية على مشاركة النساء في دورتها النافعة (قواعد وفوائد من الأربعين النووية)، فضلا عن دروس يوم الثلاثاء الأسبوعية التي ستستمر حتى نهاية هذا العام، وقد تميزت بمحتوى نافع، مثل درس (الخوف والرجاء) لنهاد القطان، ودرس في شرح (اسم الله الوهاب)، ألقته نجاة التنيب، وذلك بهدف بيان أهمية الإيمان بالله -تعالى- بالعمل بطاعته والتوكل عليه والإنابة إليه، وأنه هو الواهب المعطي.





إنجازات تراث الجهراء خلال عام ٢٠٢١

مساعدة (2580) أسرة، وكفالة (455) أرملة ومطلقة وتوفير مواد غذائية للأسر المحتاجة داخل الكويت

أصدرت جمعية إحياء التراث الإسلامي تقريراً بما أُنجز خلال العام ٢٠٢١م من خلال فرعها في محافظة الجهراء فقط؛ حيث نُظمت أنشطة وفعاليات عدة، وقدم العون المادي والمعنوي للعديد من الأسر من خلال اللجان العاملة فيه.

لجنة الزكاة

ومن ذلك تقديم لجنة الزكاة المساعدات المادية لما يقارب من (٢٥٨٠) أسرة من الحالات المتمثلة في ضعف الدخل واستحقاق الإيجارات، كذلك الأرامل والمطلقات والحالات المرضية؛ حيث كفلت (٤٥٥) أرملة ومطلقة، و(٨٦) يتيما ويتيمة داخل الكويت شهرياً.

المساعدات العينية والدعم الغذائي

وفي مجال المساعدات العينية والدعم الغذائي للأسر المحتاجة داخل الكويت، فقد وفرت المواد الغذائية من خلال توزيع ما يقارب من (٧٢٦٥) سلة غذائية، وتوزيع (٦٠) ألف وجبة للعمال، كذلك توزيع (١٠٠٠) سلة رمضانية، و(٤٠٠) كرتون لحوم، وتوزيع (٤٥) ذبيحة. وفي مجال مساعدة الطلبة المتعثرين، فقد قام الفرع خلال هذا العام بتسديد الرسوم الدراسية لـ (٣٠٩) طلاب وطالبات، وتوزيع (٦٦٠) حقيبة مدرسية داخل الكويت، وأيضاً توزيع (٢٥٠٠) كوبون مشتريات ملابس على الأسر ضعيفة الدخل من خلال مشروعي (كسوة العيد - كسوة الشتاء).

المجال الثقافي والتعليمي والإرشادي

أما في المجال الثقافي والتعليمي والإرشادي، فقد قامت لجنة الدعوة والإرشاد في منطقة الجهراء التي تتولى مسؤولية نشر الكلمة الطيبة في المجتمع، والتصدي بالحكمة والموعظة الحسنة لعوامل الانحراف العقائدي والأخلاقي التي تستهدف قيم المجتمع ومثله، نظمت العديد من المحاضرات والدروس العلمية، التي بلغ عددها ما يقارب من (١٠٤) دروس ومحاضرة شرعية، فضلا عن توزيع ما يقارب من (٣١٥٠٠) نشرة ومطوية دعوية، كما أشهر إسلام (٤٩) ما بين رجل وامرأة من المهتدين الجدد.

تحفيظ كتاب الله -تعالى

وفي مجال تحفيظ كتاب الله -تعالى- افتتح مركز لتحفيظ القرآن الكريم في منطقة القيروان، فضلا عن تنظيم العديد من الأنشطة والفعاليات عبر حلقات التحفيظ؛ حيث بلغ عدد الطلبة الذين يتعلمون القرآن يوميا -من خلالها- ما يقارب من (٤٤١) طالباً.

حُفر (٣٧٢) بئراً وبُني (٣٦) مسجدا، وكُفل أكثر من (٣٧٠) يتيماً في بعض الدول

التعاون مع اللجان القارية

كما أوضح التقرير أيضاً أعمال فرع الجهراء التي نفذها بالتعاون مع اللجان القارية التابعة للجمعية خارج الكويت خلال هذا العام (٢٠٢١م)، وكان منها حفر (٣٧٢) بئراً، وبناء (٣٦) مسجداً، كذلك كفالة (٣٧٢) يتيماً في بعض الدول.

الشكر لأهل الخير والإحسان

وفي نهاية تقريرها توجهت جمعية إحياء التراث الإسلامي بالشكر الجزيل والتقدير لأهل الخير والإحسان في دولة الكويت؛ لتبرعاتهم الكريمة ولدعمهم للمشاريع التي تقوم بها، سواء داخل الكويت، أم خارجها؛ حيث كان لمساهماتهم الطيبة الأثر الكبير في نفوس المسلمين في شتى بقاع الأرض، الأمر الذي يعكس ثقتهم بما تقوم به الجمعية بمختلف لجانها من أعمال ومشاريع لخدمة الإسلام والمسلمين.

أقامها مركز تراث للتدريب



دورة: مهارات التدريب الفعال

ضمن خطته السنوية أقام مركز تراث للتدريب التابع لقطاع العلاقات العامة والإعلام بالتعاون مع معهد إشراقات للتدريب دورة مهارات التدريب الفعال التي أقيمت على مدى أربعة أيام، بواقع ٨ ساعات تدريبية في الفترة من ٢٦ - ٢٠٢١/١٢/٢٩ م بقاعة تدريب مركز الشباب بالمقر الرئيسي بقرطبة، وقد حاضر في الدورة رئيس قطاع العلاقات العامة والإعلام م. سالم الناشي، وحضر الدورة عدد من موظفي الجمعية من أفرعها ولجانها المختلفة.

كيف تكون مدربا ناجحا؟

في البداية بين الناشي كيفية تحقيق النجاح في التدريب فقال: هذا هو السؤال الذي يجب أن يضعه كل مدرب نصب عينيه قبل أن يبدأ أي عملية تدريب، أو يواجه مجموعة من المتدربين، ونحن حينما نطرح هذا السؤال لا نبحث عن المدرب النمطي التقليدي، وإنما نبحث عن المدرب المتميز، المدرب الذي يتمتع بالتدريب، المدرب الذي يبدع في التدريب، وهو بهذا يتغلب على جميع العقبات التي تواجهه بروح من الإخلاص والدافعية والحماس.

مفهوم التدريب

وعن مفهوم التدريب قال الناشي: يُعرِّف بعض الأشخاص التدريب بأنه (النشاط المستمر؛ لتزويد الفرد بالمهارات والخبرات والاتجاهات، التي تجعله قادرًا على مزاولة عمل ما بهدف الزيادة الإنتاجية له وللجهة التي يعمل بها، أو نقل معارف ومهارات وسلوكيات جديدة لتطوير كفاءة الفرد لأداء مهام محددة في الجهة التي يعمل بها).

وأضاف، التدريب عبارة عن نشاط منظم، يستهدف نقل المعلومات أو التعليمات؛ وذلك لتحسين أداء المتدرب أو لمساعدته أو مساعدتها لبلوغ المستوى المطلوب من المعرفة أو المهارة.

التميز لا يعني الاحتراق

ثم بين الناشي أن بعضهم يعتقد أنه حتى يتحقق التميز يجب على المدرب أن يجهد نفسه إلى القدر



الذي يضر بها، ضررا جسديا أو نفسيا! حتى قالوا في المثل المشهور (المعلم شمعة تحترق لتضيء الطريق للآخرين)، فالمدرب كالمعلم تماما يحمل الرسالة ذاتها والأهداف نفسها، هذا الجهد المبذول بطريقة خطأ قد يتسبب بأمراض عضوية ونفسية، وقد يصاب المدرب بالاحتراق النفسي والقلق والاكتئاب، والمعلم أوالمدرب غير مطالب بحرق نفسه بل مطالب بالتمتع بالتدريب والتدريس.

إضاءة دون احتراق

وأضاف، إن المطلوب في حق المعلم أو المدرب أن يضيء دون احتراق، يعطي دون كلل أو ملل، همة عالية، ونشاط مستمر، وعمل متواصل فهو لديه دافع ذاتي للعمل والتفاني، وإضاءة أصيلة متقدة بفعل الإخلاص الحقيقي، وحب العمل وخدمة مجتمعه يقول -تعالى-: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (سورة النور: ٣٥).

المدرب كالأرض الطيبة

ويجب على المدرب أو المعلم وغيرهما ممن يحملون مشعل العلم والنور للناس أن يكونوا كالأرض الطيبة التي تقبل المطر، وتنبت العشب الكثير، ليستفيد منه الناس جميعا، يقول -ﷺ- فيما رواه الشيخان عن أبي موسى -رضي الله عنه-: «إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء؛ فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء؛ فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى: إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ. فذلك مثل: من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعلِم وعلّم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به».

أصناف المتعلمين

وعن أصناف المتعلمين قال الناشي: الناس في طلبهم للعلم -تعلما وتعليما فيما أعلم -على ستة أصناف: (الأول) أن يتعلم ويستفيد ويفيد، و(الثاني) أن يتعلم



يجب الوصول إلى تحقيق الأهداف التدريبية من خلال المشاركة الإيجابية للمتدربين والتحضير الجيد للمادة العلمية والوسائل المساعدة

ويستفيد ويفيد عند الطلب (وهي الأجادب وهي الصخور التي تمسك الماء لينتفع به الناس)، وهذا مأجور بهبته العلم، و(الثالث) أن يتعلم ويستفيد ولا يفيد، وهو كاتم العلم وهذه صفة مذمومة في كل الأحوال. و(الرابع) أن يتعلم ولا يستفيد ويفيد. وهو داخل في الآية الكريمة ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ٤٤)، و(الخامس) أن يتعلم ولا يستفيد ولا يفيد. وهو الأخرق الذي لا فائدة منه، و(السادس) ألا يتعلم ولا يستفيد ولا يفيد، وهو الجاهل.

كيف تستنتج تعريفا للتدريب بطريقة عملية ومشوقة؟

ثم قام الناشي بتحفيز الحضور على استخراج تعريف للتدريب خاص بهم فقال: عندما أقوم بالتدريب لمجموعة من المدربين أميل إلى تفعيل المشاركة الإيجابية للحضور من خلال اتباع طرائق سهلة وعملية ومشوقة في الوقت ذاته؛ لاستنتاج ما تتطلبه الدورة، من ذلك مثلا استنتاج تعريف لمفهوم التدريب؛ حيث أطلب من المشاركين كتابة بعض الكلمات التي لا غنى عنها في مفهوم التدريب، بعبارة أخرى أطرح السؤال الآتي على المشاركين: ما الكلمات التي يجب أن يتضمنها مفهوم التدريب؟ وأترك المجال لهم لكتابة هذه الكلمات، ثم نجمعها ونحدد الكلمات المكررة، وكم عدد تكرارها؟ وذلك لمعرفة الكلمات المهمة من الكلمات الأقل أهمية! ثم تظهر لنا كلمات مهمة وأساسية مثل: المعرفة، والمهارة، والإتقان، والأداء، والجودة، والتطبيق، والخبرات،... وهكذا، وبعد هذه المحاولة أقوم بتقسيم المشاركين إلى مجموعات، وأطلب من كل مجموعة كتابة تعريف للتدريب من وحي الكلمات التي حُددت سابقا. وبهذه الطريقة العملية التي تقدر خبرات المشاركين، وتستفيد من إمكاناتهم نخرج بأكثر من تعريف، يمكن أخيرا العمل على دمجها في تعريف واحد بعد المراجعة والتدقيق أكثر، وقد خرجنا بتعريفات عدة لمفهوم التدريب، من ذلك:

• إيصال المعلومات والخبرات وأساليب الأداء

(هو القدرة على إيصال المعلومات والخبرات وأساليب الأداء، بغية تأهيل المتدرب وتنمية قدراته، من خلال الممارسة المستمرة للمهارات التطبيقية والمشاركة الفاعلة بطريقة إبداعية لتطوير الواقع الحالي إلى بعد تدريبي آخر، وفق منهجية علمية وتمارين محددة ولفترة زمنية مناسبة). تعريف لمفهوم التدريب برأي مجموعة من موظفي وزارة التجارة والصناعة ضمن دورة إعداد المدرب وتأهيله (١٩-٢٣/٩/٢٠١٠)...

• الارتقاء والإبداع في الأداء

(هو القدرة على إكساب مهارات محددة وصقلها، ونقل خبرات معينة، وفق سلوكيات مكتسبة في مجالات نظرية وعملية، وذلك من خلال وسائل مساعدة تستهدف كلها إعداد المتدرب وتأهيله؛ من أجل الارتقاء والإبداع في الأداء). وفق رأي مجموعة من موظفي الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب وموظفاتها المشاركين بدورة (كيف تكون مدربا ناجحا؟) التي نظمتها عمادة القياس والتقويم في الفترة من ٢٠-٢٤/٣/٢٠١١

• تطوير كفاءة الفرد لأداء مهام محددة

(التدريب هو النشاط المستمر لتزويد الفرد بـ: المهارات والخبرات والاتجاهات التي تجعله قادرا على مزاولة عمل ما بهدف زيادة الإنتاجية له وللجهة التي يعمل بها،أو نقل معارف ومهارات وسلوكيات جديدة لتطوير كفاءة الفرد لأداء مهام محددة في الجهة التي يعمل بها).

ثم بين الناشي أن أغلب تعاريف التدريب تنحصر في هدف واحد يسعى له وهو اكتساب: المعرفة

أهداف التدريب

يستهدف التدريب قضايا رئيسة وهي:

- إكساب الأفراد المعارف المهنية والوظيفية وصقل المهارات والقدرات لإنجاز العمل بكفاءة عالية.
- تطوير أساليب الأداء لتحقيق أداء متميز في العمل الوظيفي.
- توفير احتياجات المؤسسات من القوى المتدربة الفنية.
- تحقيق الفهم والإدراك للعلاقة التكاملية بين الإدارات في العمل.
- تحسين مستوى أداء الفرد والتنظيم لرفع الكفاءة الإدارية والإنتاجية.
- تنمية معرفة الأفراد ومهاراتهم وقدراتهم واتجاهاتهم في مجالات أعمالهم.
- تغيير سلوك الأفراد للوصول إلى الأداء المرجو تحقيقه.
- تحقيق علاقة إيجابية بين المنظمة وأفرادها.
- تخطيط القوى العاملة وتنميتها.



(knowledge)، والخبرة من خلال تعلم المهارات (skills) في ظل ما يسمى كفاءات الأداء (Competencies)، وهذا التدريب هو نتيجة للتدريب المهني (vocational) أو المهارات العملية (practical skills) والمعرفة التي تتصل بالكفاءات المفيدة المحددة. فضلا عن التدريب الأساسي المطلوب للقيام بالأعمال التجارية (Trade)، والوظيفة (Occupation) أو المهنة (Profession).

صفات المدرب الناجح

وعن صفات المدرب الناجح قال الناشي: لو جئنا نعدد الصفات الإيجابية للمدرب الناجح لوجدناها كثيرة، قد تصل إلى أكثر من ٥٠ صفة، ولكن هناك تفاوت بين هذه الصفات من ناحية أهميتها، ومدى قربها أو بعدها من العملية التدريبية، ولعل التأكيد على هذه الصفات يدفعنا إلى مزيد من العمل والجد والتركيز، وهناك صفات قد تشترك مع جوانب في شخصية القائد، التي يمكن أن يتحلى بها المدرب الناجح؛ فالمدرب الناجح -فضلا عن دوره الأساسي في التدريب- يقوم بجوانب أخرى تربوية وأبوية إدارية وقيادية.

أهمية التجديد والإبداع

مما يدفع الملل والسآمة في العملية التدريبية محاولة التجديد والإبداع، فيجب دائما الوصول



إلى تحقيق الأهداف التدريبية من خلال المشاركة الإيجابية للمتدربين، والتحضير الجيد للمادة العلمية والوسائل المساعدة، وإن الأسئلة غير المحرجة تخلق جوا من التنافس المحبب بين المتدربين، وكذلك منح كلمات التشجيع والتعزيز يؤكد ثقة المتدرب بنفسه فينطلق لمزيد من الجد والاجتهاد والثقة بالمدرب؛ فاحرصْ على التجديد، والتشويق والمفاجآت، ومخالفة توقعات المتدربين، وتجنب النمطية والروتين.

كيف توصل المعلومة؟

من أهم صفات المدرب الناجح القدرة على توصيل المعلومة، سواء كانت هذه المعلومة نظرية أم تطبيقية، ويجب على المدرب الناجح أن يتعلم كيفية إيصال المعلومة، وعليه أن يدرك تماما أهمية الاقتناع الذاتي بالموضوع الذي يريد طرحه المتضمن لهذه المعلومة، والمقصود أن يكون مستوعباً للموضوع والقضية التي يريد طرحها، أو يرغب من الناس أن يقتنعوا بها، فلا يمكن أن يوصل أي معلومة إلا إذا كان مقتنعا بها أولا، ثم يسعى بأن يقنع الآخرين بها.

الإلمام بالأسئلة كافة

وحتى يعرف المدرب الناجح بأن لديه القدرة على إيصال المعلومة، يجب أن يفكر في الأسئلة جميعها التي يمكن أن تتبادر إلى ذهن المتدرب، ومن ثم عليه أن يكون حاضرا ذهنيا؛ بحيث يتوقع كل ما يمكن طرحه حول الموضوع، ويكون مستعدا مهنيا من خلال التحضير للإجابة المثالية عن مثل هذه الأسئلة، وعليه ألا يتردد في البحث، واستخدام المراجع سواء من خلال الكتب المنهجية، أم من الشبكة العنكبوتية (النت) لتحضير الردود المناسبة على الأسئلة المتوقعة من قبل المشاركين والمتدربين.

القدرة اللغوية

إن من أهم عوامل التواصل الناجح اللغة المفهومة، فلا يمكن للمدرب الناجح أن يوصل أي معلومة إلا إذا كانت هناك لغة مشتركة بين الطرفين المدرب والمتدرب، بل تعد القدرة اللغوية من أهم العناصر الأساسية التي تؤهله لإيصال ما يريده للآخرين؛ فالقدرة اللغوية، هي القدرة على استخدام الكلمات الأنسب لإيصال المعنى، ووضوح الأسلوب أمر يختلف من شخص لآخر.. ولكن الأسلوب السهل الواضح، والقدرة على تنويع الأسلوب وتغييره على حسب الزمان والمكان، يساعد كثيرا في إيصال المعلومة والأفكار.

مهارات الاتصال

ومهارات الاتصال (Communication) ضرورية في مجالات الحياة جميعها، ويحتاجها المدرب الناجح، ومعظم الناس ينفقون -في العادة- ٧٥٪ في المئة من وقتهم يوميا على التواصل من خلال الكتابة والقراءة والاستماع والتحدث والنقاش، ولكن توجد مشكلات رئيسة في الاتصال، ويكون سببها أمور عدة، منها: عدم امتلاك الشخص مخزون كاف من المفردات، ومن



من الفوائد التي تعود على المؤسسات من التدريب ما يلي:

- **زيادة الإنتاجية في العمل من خلال تحسين المهارات والأداء الوظيفي.**
- **زيادة جودة المنتجات؛ مما يزيد من رضا العملاء.**
- **تحسين صورة المؤسسة؛ مما يؤدي إلى جذب المزيد من العملاء والموظفين المحتملين.**
- **تقليل التكاليف ومن ثم زيادة الأرباح من خلال تحسين الأدوار والصلاحيات للعاملين بالمؤسسة.**

فوائد التدريب للأفراد

من الفوائد التي تعود على المتدربين ما يلي:

- **تحسين الأداء الوظيفي.**
- **زيادة المقابل المادي للفرد.**
- **زيادة فرص الترقي في الوظيفة.**
- **الحصول على وظيفة أفضل داخل المؤسسة أو خارجها.**
- **القدرة على التواصل مع مستويات أعلى في التدريب.**





ثم قد يستخدم الكلمة في غير موضعها المناسب، فيؤدي ذلك إلى ضعف شديد في التعبير عن الأفكار، وعدم القدرة على الطلاقة في الحديث، كذلك الخوف من التحدث في الأماكن العامة وأمام الجمهور، وضعف عام في إدراك أهمية الإنصات الجيد.

مهارات التحدث

يجب على المدرب الناجح أن يمتلك بعض مهارات التحدث التي يمكن أن تبنى على الثقة بالنفس والتدريب على مواجهة الجمهور، فيجب أن يتعلم كيف يقدم الفكرة والمعرفة من خلال التحدث للآخرين، ويجب التعرف على جمهوره الذي سيواجهه، ويجب عليه التخطيط والإعداد مسبقا لكل ما يريد أن يتحدث فيه، وفي كل الأحوال يجب أن يستخدم لغة سهلة وكلمات بسيطة، مع ترتيب النقاط الرئيسة قبل الحديث، مع ضرب الأمثلة، والتكلم بلغة الأرقام، فمثلا لو قلت: هذا المبنى مرتفع، فليس له مدلول محدد، ولكن لو قلت: إن هذا المبنى مكون من ١٠ طوابق فسيكون الأمر أكثر وضوحا وتحديدا، كما يجب الالتزام بالزمن المحدد لكل فقرة أو فكرة أو موضوع، مع تخصيص وقت لاستقبال أسئلة من المتدربين.

من أهم صفات المدرب الناجح القدرة على توصيل المعلومة سواء كانت هذه المعلومة نظرية أم تطبيقية

مهارات الاستماع

مثلما يجب أن نهتم بمهارات التحدث؛ فيجب على المدرب الناجح أن يهتم أيضا بمهارات الاستماع، وهي جزء مهم من عمليات الاتصال؛ لذا ينبغي أن يتحلى بالصبر وهو يستمع للآخرين، ويكون لديه الرغبة الأكيدة في إفهام الآخر والتركيز مع كل ما يصدر منه من أفكار وكلمات، وضمان التواصل البصري دون التحديق غير المحبب، وإظهار التعاطف الكامل من خلال عدم مقاطعته مع بيان كلمات التشجيع، أو الإشارات والإيماءات بالتأييد والتدعيم لوجهة نظره، وتجنب إبداء عدم الاهتمام في حديثه من خلال الانشغال عنه بجهاز النقال، أو الصد عنه.

كيف نتمتع بالتدريب؟

نتمتع بالتدريب من خلال تصور التدريب أو التعليم مهنة من أفضل المهن وأرقاها، فالنبي -ﷺ- قال: يا بلال أرحنا بالصلاة، ولم يقل أرحنا من الصلاة، أي أن النبي -ﷺ- يجد راحة وهناءة ومتعة في الصلاة؛ ذلك أن الصلاة صلة بين العبد وربه، وهي عبادة عظيمة، وفيها أجر عظيم في الدنيا والآخرة، والتدريب والتعليم أيضا اذا أخلصنا النية فيه لله، وقلنا: إننا نُعلم ونتعلم لتنهض الأمة، ولا سيما شبابها؛ لتكون أمتنا في مصاف الدول المتقدمة؛ فإن كل دقيقة يقضيها المعلم في المدرسة وفي التعليم يؤجر عليها في الدنيا والآخرة.

تقترب من مهنة الأنبياء

وأضاف الناشي أن مهنة التدريب تقترب من مهنة الأنبياء، وهي تعليم الناس الخير، ولقد رفع الله -تعالى- شأن العلم وأهله، وبيّن مكانتهم، ورفع منزلتهم، فقال -سبحانه وتعالى-:﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة: ١١).: وقال معاذ بن جبل عليكم بالعلم فإن طلبه عبادة، وتعلمه لله حسنة، وبذله لأهله قربة، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، والبحث عنه جهاد، ومذاكرته تسبيح، والنبي -ﷺ- قال: «من علم علما فله أجر من عمل به لا ينقص من أجر العامل شيء».

ولا يمكن أن تتمتع بالصلاة وأنت لا تعرف كيف تصلي، يجب أن نعرف أركان الصلاة وشروطها وسننها وكيفية أدائها بالطريقة التي صلى بها نبينا محمد -ﷺ- حتى نصل الى منتهى الراحة والسعادة، وكذلك التدريب والتعليم يجب أن نعرف كيف نعلم، ونتمتع بالتدريس والتدريب من خلال الاستعداد، الاستعداد لكل شيء، فالمعلم إذا أعد أدواته ومهاراته التي يستخدمها في التعليم استمتع بالتعليم.

صفات المدرب الناجح

1	متحمس في عمله	11	يتقمص الأدوار ولديه مرونة في التعامل
2	يمنح الثقة للآخرين	12	لا يحتكر الحديث بل يمنح الآخرين التفاعل
3	انفعالاته متوازنة	13	ينظم وقته في أثناء التدريب
4	القدرة على توصيل المعلومة	14	لديه ثقة بالنفس
5	التمكن من المادة العلمية	15	يتسلسل في استعراض معلوماته
6	يتقبل آراء الآخرين	16	التعامل مع الآخرين برحابة الصدر
7	القدرة على الابتكار والإبداع	17	جعل المادة العلمية مناسبة لفهم المتدربين
8	يجيد الاتصال اللفظي الفعال	18	يستخدم وسائل الإيضاح استخداما صحيحا
9	يجيد الاتصال غير اللفظي	19	يتحمل المسؤولية ويلتزم بالمهنية
10	يجيد الإنصات	20	التلقائية في الأداء والواقعية

شرح كتاب النكاح من صحيح مسلم

باب: التّزْويج على تَعْليم القرآن

الشيخ: محمد الحمود النجدي

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السّاعديّ -رضي الله عنه- قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللّه -صلى الله عليه وسلم-؛ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللّه، جِئْتُ أَهَبُ لَكَ نَفْسِي، فَنَظَرَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللّه -صلى الله عليه وسلم-، فَصَعّدَ النّظَرَ فِيهَا وَصَوّبَه، ثُمّ طَأْطَأَ رَسُولُ اللّه -صلى الله عليه وسلم- رَأْسَهُ، فَلَمّا رَأَتْ الْمَرْأَةُ أَنّه لَمْ يَقْضِ فِيهَا شَيْئًا؛ جَلَسَتْ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِه، فقال: يَا رَسُولَ اللّه، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِها حَاجَةٌ فَزَوّجْنِيها، فَقَالَ: «فَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ؟» فَقَالَ: لا وَاللّه يَا رَسُولَ اللّه، فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَى أَهْلِكَ فَانْظُرْ، هَلْ تَجِدُ شَيْئًا، فَذَهَبَ ثُمّ رَجَعَ، فَقَالَ: لا واللّه، ما وَجَدْتُ شَيْئًا، فقال رَسُولُ اللّه -صلى الله عليه وسلم-: «انْظُرْ وَلَوْ خَاتمًا مِنْ حَدِيدٍ» فَذَهَبَ ثُمّ رَجَعَ فَقَالَ: لا واللّه يا رَسُولَ اللّه، وَلا خَاتمًا مِنْ حَدِيدٍ، وَلَكِنْ هَذَا إِزَارِي- قال سَهْلٌ: مَا لَهُ رِدَاءٌ- فَلَها نِصْفُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللّه -صلى الله عليه وسلم-: «مَا تَصْنَعُ بِإِزَارِكَ إِنْ لَبِسْتَهُ؟ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ، وَإِنْ لَبِسَتْهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ مِنْهُ شَيْءٌ» فَجَلَسَ الرّجُلُ، حَتّى إِذَا طَالَ مَجْلِسُهُ قَامَ، فَرَآهُ رَسُولُ اللّه -صلى الله عليه وسلم- مُوَلّيًا، فَأَمَرَ بِهِ فَدُعِيَ، فَلَمّا جَاءَ قَالَ: «مَاذَا مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ؟» قَالَ: مَعِي سُورَةُ كَذَا، وَسُورَةُ كَذَا، عَدّدَهَا، فَقَالَ: «تَقْرَؤُهُنّ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ؟» قال: نَعَمْ، قَالَ: اذْهَبْ، فَقَدْ مُلّكْتَهَا بِمَا مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ».

الحديث رواه مسلم في النكاح (١٠٤٠/٢) باب: الصّداق وجواز كونه تعليم قرآن، وخاتم حديد، وغير ذلك من قليل وكثير، ورواه البخاري في كتاب فضائل القرآن (٥٠٣٠) باب: القراءة عن ظهر القلب، وفي النكاح (٥١٤٩) باب: التزويج على القرآن وبغير صداق.

قوله: «جاءت امْرأة»

اختلف في اسمها، فقيل: هي خولة بنت حكيم، وقيل: هي أم شريك الأزدية. وقيل غيرها، ذكر هذه الأقوال أبو القاسم بن بشكوال في كتاب (المبهمات)، وقوله: «فقالَتْ: يَا رَسُولَ اللّه، جِئْتُ أَهَبُ لَكَ نَفْسِي» وفي البخاري: «وهبت لك نفسي» فيه: هبةُ المرأةِ نفسَها، وهي أنْ تَتزوّجَ الرّجُلَ بلا مهرٍ، وقد أحَلّ اللهُ -سبحانه- ذلك لنبيّه خاصةً من دون المؤمنين؛ قال -تعالى-: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأحزاب: ٥٠)، قال ابن القاسم عن مالك: لا تحلّ الهبة لأحد بعد النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقال أبو عمر: أجْمعَ العلماء على أنّه لا يجوز أنْ يطأ فَرْجا وُهِبَ له وطؤه دون رقبته، بغير صداق.

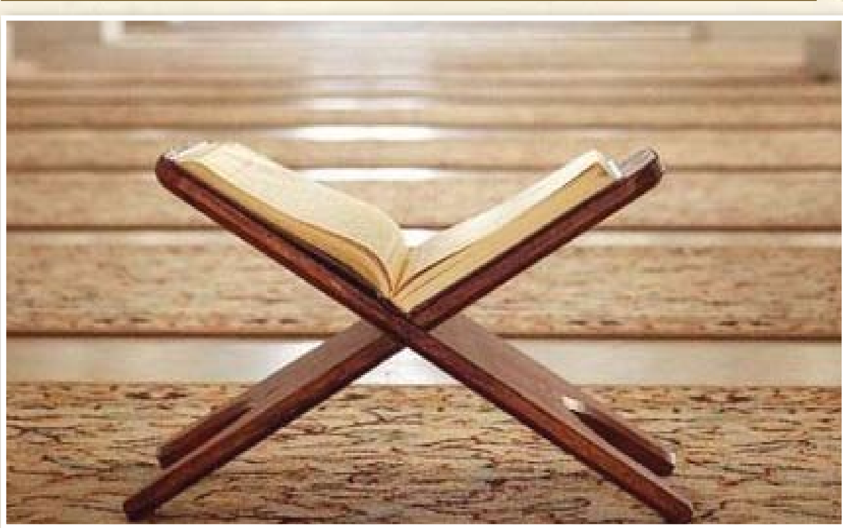
مقام الخاطب

قوله: «فَنَظَرَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللّه -صلى الله عليه وسلم-، فَصَعّدَ النّظَرَ فِيهَا وَصَوّبَهُ، ثُمّ طَأْطَأَ رَسُولُ اللّه -صلى الله عليه وسلم- رَأْسَهُ» صَعّدَ: فبتَشْديد العَيْن، أي: رَفَعَ، وأمّا صَوّبَ: فبتَشْديد الوَاو، أي: خَفَضَ، وإنّما نظر إليها النبي -صلى الله عليه وسلم- لأنّه في مقام الخاطب الذي يُشْرع له النّظر إلى المخطوبة، فنظر إليها: فإنْ أعْجبته تزوّجها، وإنْ لم تُعْجبه غضّ طَرفه عنها، وهذا ما حصل، قال النووي -رحمه الله-: فيه دليلٌ لجوَازِ النّظَرِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَزَوّجَ امْرَأَةً وَتَأَمُّلِه إِيّاهَا، وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: قوله: «فَصَعّدَ النّظَرَ إِلَيْهَا وَصَوّبَهُ» دَالٌّ على أَنّهُ كان يُريد التّزْويج لَوْ أَعْجَبَتْهُ».

«انْظُرْ وَلَوْ خَاتمًا مِنْ حَدِيدٍ»

قوله: «فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِه، فقال: يا رَسُولَ اللّه، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ فَزَوّجْنِيها» يعني: إنْ لم تُردْ زَواجَها، فقال: «فَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ؟» أي: هل عندك ما تعطيها صَداقاً ومهْراً لها، «فقال: لَا وَاللّهِ يَا رَسُولَ اللّهِ، فقال:

من فوائد الحديث أنّ الكفاءةَ إنّما هي في الدِّينِ لا في المالِ وأنّه لا حَدّ لأقلِّ المَهرِ وتَيسيرِ أمَرِ النِّكاحِ



اذْهَبْ إِلَى أَهْلِكَ فانْظُرْ، هَلْ تَجِدُ شَيْئًا، فَذَهَبَ ثُمّ رَجَعَ، ما وَجَدْتُ شَيْئًا، فَقَال رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «انْظُرْ ولَوْ خَاتمًا مِنْ حَدِيد» أي: نفى الرَّجُلُ امتلاكه للمال، فقالَ النّبيُّ -ﷺ-: «انظرْ» فيما عندك، فابحثْ عَن شَيءٍ تَدفَعُه مَهرًا لها، فذهب وبحَثَ فرجَعَ، وقال: لم أجِدْ شيئًا.

فقال له النّبيُّ -ﷺ-: «الْتَمِسْ ولو خاتمًا من حَديد»، يعني: اذْهبْ فأْتِ بأيِّ شَيءٍ، ولو خاتَمًا مِن حديد، فذَهَبَ الرّجلُ وبحَث فيما عنده ثُمّ أتى، وقال: إنّه لا يَملِكُ حتّى الخاتمَ، ولم يكُنْ عليه سوى إزار يستُرُ به نصفَ جَسَده من الأسفَلِ، فقالَ للنّبيّ -ﷺ-: «أُصْدِقُها إزاري»، أي: أُعْطِيها إزاري مَهراً، فرفض ذلك النّبيُّ -ﷺ-؛ قائلا له: لأنّه إنْ لبِسَتْه المرأةُ لم يكُنْ عليكَ ثوبٌ، وإنْ لَبِسْتَهُ أنتَ لم يكنْ عليها ثوبٌ، فتَراجَعَ الرّجلُ وجلَسَ.

«ما مَعكَ مِنَ القرآنِ؟»

قوله: «فَجَلَسَ الرَّجُلُ، حَتَّى إذَا طَالَ مَجْلِسُهُ قَامَ، فلمّا رآهُ النّبيُّ -ﷺ- ذاهبًا دَعاهُ، وقال له: «ما مَعكَ مِنَ القرآنِ؟» أي: ما تَحفَظُ منه؟ فذَكَرَ الرّجلُ له ما يَحفَظُ مِنَ السُّورِ، فقال النّبيُّ -ﷺ-: «قدْ مَلّكْتُكها بما معكَ مِنَ القرآنِ»، يعني زَوّجْتُها لك، بما تحفَظُ مِنَ القرآنِ. وفي أكثر روايات الموطأ: «أنكحتكها».

قال الدارقطني: رواية من روى: مَلكتكها، وَهم، قال: الصّواب رواية من روى: زوجتكها، قال: وهم أكثر وأحفظ.

وقال النووي: ويحتمل صحة اللفظين، ويكون جرى لفظ التزويج أولاً فمَلَكَها، ثم قال له: إذهب فقد ملكتُكها بالتزويج السابق. قال الحافظ: هذا هو الوجه، وقد ذكرنا أن البخاري أخرج هذا الحديث في التوحيد، ولكنه مختصر جدا.

فوائد الحديث

وفي الحديث فوائد منها ما يلي:

١- استدلّ أهل العلم بهذا الحديث على جواز النَّظَر إلى المَخطوبة.

٢- جواز هِبة المرأة نفسها للنبي -ﷺ-، وهو مِنْ خَصائصه، وأنّه -ﷺ- يجوز له استِباحة مَنْ شاء ممّن وهبتْ نفسَها له بغير صَداق، وهذا أيضا من الخصائص.

٣- استدل به أبو حنيفة والثوري وأبو يوسف ومحمد والحسن بن حي، على أنّ النكاح ينعقد بغير لَفظ النِّكاح والتّزويج، كلفظ الهبة، فإنْ سمّى مهراً لزمه، وإنْ لم يسمّ فلها مهر المثل.

٤- وفيه: إنكاحُ المُعسِر، وأنّ الكفاءةَ إنّما هي في الدِّينِ لا في المالِ، وأنّه لا حَدّ لأقلِّ المَهرِ، وتَيسيرِ أمْرِ النِّكاحِ.

٥- وفيه: أنّ الإمام ومَن ينوب عنه من القضاة له أنْ يُزوِّجُ مَنْ ليس لها ولِيٌّ، لِمَنْ يَراه كُفؤًا لها، بشَرْطِ رِضاها.

٦- وفيه: إكرامُ حاملِ القرآنِ، حيث زوّج النّبيُّ -ﷺ- المرأةَ للرّجلِ؛ لأجْلِ كونه حافظًا للقرآنِ أو لبَعضِه، ليعلِّم المرأةَ ما يحفظه من القرآن، ويكون تعلِيمُه ما حفظه من القرآن مهراً لها.

٧- وفيه: نَظَر إمام المسلمين في مصالحهم، وهدايته إيّاهم إلى ما فيه صلاحهم، والرِّفق بهم.

للإمام ومَن ينوب عنه من القضاة أنْ يُزوّج مَنْ ليس لها وليّ لِمَنْ يَراه كُفؤًا لها بشَرْطِ رِضاها



سماحة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان

وقفات مع وصية النبي -ﷺ- في حديث الْعِرْبَاض بْن سَارِيَةَ -رضي الله عنه-

هذه محاضرة نفيسة للعلامة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان - حفظه الله- وهي شرح لحديث الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ - رضي الله عنه- قال: «وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّه ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالْنا يَا رَسُولَ اللَّه كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدّعٍ «فأوصاهم النَّبيّ -ﷺ- بعدة وصايا عظيمة لها شأنٌ عظيم، وفي شرح هذه المعاني العظيمة يقول الشيخ صالح حفظه الله: «كان النَّبيّ -ﷺ- يتخول أصحابه بالموعظة، ولا يكرر عليهم كل يوم وإنما يتخولهم بين حين وآخر، فالموعظة من هديه -ﷺ- عملاً بقوله -تعالى-: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغاً﴾ فالموعظة لا شك أن لها تأثيراً في قلوب الموعظين يبقى أثرها فيهم، إذا كانت صادرةً من ناصح مخلص متبع للكتاب والسُّنّة «كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدّعٍ»، يعني كأنها ختام حياة النَّبيّ -ﷺ- «فَأَوْصنَا» لأن من عادة المودع أنه يُوصي من خلفه بالأمور المهمة، «كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُودّعٍ فَأَوْصِنَا، فَقَالَ أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّه وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسَنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

ثلاثة أمور عظيمة وصى بها النبي -ﷺ- فأوصى -ﷺ- بثلاثة أشياء:

أولا: بتقوى الله وحده.

الثانية: السمع والطاعة لولاة الأمور.

الثالثة: ثم التمسك بالسُّنّة عند ظهور الفتن والاختلاف، أوصى بالتمسك بسُنّته -ﷺ- «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ» من الصحابة، إذا كان هذا يحدث في عصر الصحابة الاختلاف والفتن، فكيف فيمن يأتي بعدهم؟ «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا» بين الناس، «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي»، ما ينجي من هذا الاختلاف إلاّ التمسك بسُنّة الرّسُول -ﷺ- لأنها تحسم الخلاف، كما قال الله - جلّ وَعَلاَ -: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ

وفي حديث حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ -رضي الله عنه- أنه سأل النّبيّ -ﷺ- عما يحدث من الفتن وما يأتي بعد هذه الفتن من الخير، ثم يأتي بعدها فتن وهكذا فقال حُذيفة للرسول -ﷺ- فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ».

هذه وصية رَسُولَ اللهَ -ﷺ- لحذيفة



عند ظهور الفتن وهذا وصيةٌ للأمة كلها، والفتن تحدث لا سيما في آخر الزمان وتكْثُر، ولكن الحمد لله معنا من كتاب الله وسُنّة رَسُوله ما يعصمنا من هذه الفتن إذا تمسكنا بهما، قال الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ، -رضي الله عنه-: «وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّه -ﷺ- مَوْعِظَةً بَلِيغَةً» والبلاغة: كما يقولون هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، «وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ» خافت منها القلوب، «وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ» بالبكاء خوفًا من هذه الفتن، «فَقَالنا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ» يعني فهموا منها أنها آخر حياة الرَّسُول -ﷺ- «كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا فَقَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ» هذه واحدة، «وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدًا»، ثم إذا ظهر الاختلاف بين الناس» فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي».

الوصية بتقوى الله

(أوصيكم بتقوى الله)، تقوى الله كلمة جامعة تجمع كل الخير وقد أوصى بها الله -سبحانه وتعالى- في الأولين والآخرين قال -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾، فأوصى الأولين والآخرين أن يتقوا الله -عز وجل-، والتقوى أن تتخذ وقاية بينك وبين المكروه تقيك منه، ولا يقي من هذه الفتن التي تحدث إلا سُنة الرسول -ﷺ- يعني في حياته الرد إليه إلى شخصه -ﷺ- وبعد ماتته الرد إلى سُنته الصحيحة الثابتة، والسنة تطلق ويراد بها الأحاديث الورادة عن الرَّسُول -ﷺ-، وتطلق بها الطريقة التي عليها رَسُول الله -ﷺ- وهي المقصودة في الحديث.

فقوله: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي» يعني: الزموا، وكلمة: (عليكم) اسم فعل أمر كما قال -جَلَّ وَعَلَا -: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ عليكم أنفسكم أي: الزموا أنفسكم، والمراد: عليكم بتقوى الله، وتقوى الله هي: فعل أوامره وترك نواهيه، طمعًا في ثوابه وخوفًا من عقابه، وهي كلمة جامعة تجمع كل خصال الخير، عليكم بتقوى الله هذه واحدة.

> **تقوى الله كلمة جامعة لكل خير قد أوصى بها الله -سبحانه وتعالى- الأولين والآخرين**

سنة الخلفاء الراشدين

ثم قال الشيخ صالح الفوزان في قوله: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسَنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ» من هم الخلفاء الرشدين؟ هم الأربعة: أبوبكر وعمر وعثمان وعلي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- هؤلاء هم الخلفاء الرشدين. فقوله: «بِسُنَّتِي وَسَنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي» لأن سنة الخلفاء الرشدين تبيّن سُنة الرّسُول -ﷺ- توضحها.

الوصية بالسمع والطاعة

الثانية: السمع والطاعة، وهذا عند ظهور الفتن والشرور تلزم جماعة المسلمين وإمامهم هذا هو النجاة من الفتن، كما قال -ﷺ- لحذيفة - فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ ؟ هذه الفتن، قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، عند ظهور الفتن علينا أن نلزم ما عليه جماعة المسلمين وامام المسلمين، وإمامهم يعني ولي أمرهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ يعني من المسلمين، وولي الأمر يكون من المسلمين، وفي لزوم جماعة المسلمين وإمامهم منجاة من الفتن إذا ظهرت.

النجاة من الفتن منوط بتعلم المنهج السليم

ولن تدرك ذلك إلا أن تتعلم المنهج السليم الذي كان عليه سلف الأمة وأئمتها، تعلم العلم النافع ولا مسألة ادعاء لزوم الجماعة من غير حقيقة ولا علم هذا لا يكفي، ولابد أن تتعلم ما عليه سلف هذه الأمة وأئمتها لأجل أن تمتثل وتسير عليه في حياتك.

إمارة العبد

ثم تابع الشيخ صالح الفوزان حفظه الله قائلا في شرح قوله -ﷺ-: «وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ»، يعني ما ينظر الى نسبه، ولا إلى شخصه، وفي بعض الروايات «مُجَدَّعَ الأَطْرَافِ» يعني فيه عيوب جسمية، أو نسبه ليس عربيًا وإنما هو عبدٌ حبشيٌ. فولي أمر المسلمين يدفع الله به شرورًا كثيرة، وهو ظل الله في الأرض كما في الحديث، فلزوم ولي أمر المسلمين هو النجاة من الفتن إذا حصلت. وفي هذا تحذير من اتباع المناهج غير منهج أهل السنة والجماعة، والجماعات كثيرة كما في الحديث: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا» والمقصود مذاهب كثيرة، لكن الحق مع جماعة واحدة؛ ولا سيما في هذا الزمان الذي انتشرت فيه المناهج، ولا مخرج إلا بلزوم إمام المسلمين وجماعتهم. وليس بلازم أن يكون إمام المسلمين معصومًا أو ليس له أخطاء أو ليس له ذنوب، وأنه إذا أخطأ لا يقتدى به، حتى لوكان فاجرًا، فذلك لا يخرجه عن الإسلام بل تلزم طاعته، كما يقول أهل السنة والجماعة في العقيدة: «برا كان أو فاجرا برا يعني: مستقيمًا ومطيعًا، أو فاجرًا يعني عاصيًا لا تصل معصيته إلى الكفر والخروج من الدين». هذا هو المخرج من هذه الفتن وهذه الشرور.

أهمية دراسة عقيدة السلف

ثم أضاف الشيخ صالح الفوزان: ولابد أن نتعلم عقيدة المسلمين وما عليه سلف هذه الأمة قال اللّه - جَلّ وَعَلاَ -: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾ بإحسان ليس بانتساب فقط والإحسان يعني بإتقان وذلك بأن يعرفوا ما عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.

تقييد الذين اتبعوهم بقوله: ﴿بِإِحْسَانٍ﴾

أضاف الشيخ صالح الفوزان قائلا: وفي الآية جاء تقييد الذين اتبعوهم بقوله: ﴿بِإِحْسَانٍ﴾، والإحسان معناه أن تعرف ما هم عليه سنتهم وطريقتهم تتمسك بها، وذلك بأن تأخذها عن العلماء، لا أن تأخذها عن المتعالمين، أو عن الكتب والمطالعات، وتأخذها عن علماء المسلمين

لابد أن نتعلم ماكان عليه سلف الأمة وأئمتها حتى نتمثله واقعاً في حياتنا

الذين هم القدوة حتى تتمسك بها على حق وعلى بصيرة.

التحذير من مخالفة السنة

ثم حذر -ﷺ- ممن يخالف السُّنة (سُنة الرَّسُول وسُنة الخلفاء الرشدين)، «وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ!» وهي البدع، المحدثات هي: البدع التي تخالف سُنة الرَّسُول -ﷺ-، والبدع كثيرة، والنَّبِي -ﷺ- قرأ هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾. وذلك أنه -ﷺ- خط خطًّا معتدلًا، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّه»، ثُمَّ خَطَّ على جنبيه خُطُوطًا كثيرة، وَقَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ» التي على جنبتي الصراط وقال: «هَذِهِ سُبُلٌ» من اتبعها ضلّ وضاع، ومن ترك الصراط المستقيم الذي هو الطريق الصحيح وقع في هذه السبل، ولا يتبين ما هو الحق منها، كل يقول الحق معي وأنا كذا، كذلك فالرسولﷺ وضح لنا هذا إيضاحا فقال: «هَذَا سَبِيلُ اللَّه» «هَذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو النَّاس إِلَيْهِ» كل سبيل من السبل التي على جنبتي الطريق المستقيم عليه شيطان من شياطين الإنس والجن يدعون إليه، ويرغبون فيه وربما يبذلون الأموال والطمع، يطمّعون الناس ولكنه طريق هلاك «عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو النَّاس إِلَيْهِ» هؤلاء هم دعاة الضلال الذين هم على سبل الضلال يدعون الناس إليها، فمن أطاعهم أهلكوه «وَهَذِهِ سُبُلٌ،عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو النَّاس إِلَيْهِ»؛ وهذا من باب التحذير منه -ﷺ-. فقوله: «وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ!» وهي البدع، فكلمة: «إيّاكم»، هذه تحذير، فكل ما خالف السُّنة، مما هو من يُنسب إلى الدين وهو يُخالف السُّنة فهو بدعة. فمن ترك السُّنن وقع في البدع.

نبض القلم

فرق كبير بين إحسان المعاملة والمجاملة في العقيدة

أمرنا الله -عز وجل- ورسوله -ﷺ- بأن نحسن معاملتنا لجيراننا من غير المسلمين، كما أمر الله في كتابه: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (سورة النساء: ٣٦)، فالجار الجنب: هو الجار «غير المسلم»، والإحسان إليه أمر من مقتضى كونك عبدا لله ملتزما بأوامره.

وكلما صحت عبودية المسلم، ارتقى في مراتب الإحسان وحسنت معاملاته مع غيره، وكذلك فإن صحة عبودية المسلم تستلزم منه ألا يكون مجاملا أبدًا في أمر عقيدته، بل تُوجب عليه أن يوقن بما قاله الله -عز وجل- واصفا به نفسه أو بما وصفه به رسوله، وأن يكون معتزا بذلك مطابقا فعله لما يقرؤه ويتعبد به في صلاته لربه من كتاب ربه كما في سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، فلا يُقر أفعال من يسبون الله، ولا يهنئهم علي عقيدتهم التي يَدّعون فيها أن الله له ولد، أو أن الله قد وُلد، أو أنه قد مات ثم قام للحياة مرة أخري، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، فهذا من مقتضى الإحسان في عبوديتك لربك ونصحك الحقيقي وإحسانك لغيرك من غير المسلمين.

ففرق كبير بين: إحسان المعاملات، وبين المجاملة في أمر العقيدة، وعلى الحقيقة فإن إحسان المعاملة فرع عن صحة العقيدة والاعتزاز بها، لا المجاملة فيها.





www.prof-alhadad.com

في آيات كثيرة يخاطب الله -عز وجل- المشركين مقيما الحجة عليهم، ومبينا عجزهم وعجز آلهتهم، بأن هذه الآلهة لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا، فكيف ينفع غيرها؟ وأن هذه الآلهة لا تستطيع أن تدافع عن نفسها، فكيف تنضر غيرها؟ ولكن يبقى أهل الشرك على شركهم رغم علمهم بهذه الحقائق، ورغم عجزهم عن الإجابة عن هذه الحجج البينة!

يقول -عز وجل-: ﴿وَاتَّخَذُوا من دُونِه آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ (الفرقان:٣).

ويقول -سبحانه-: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِه أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّه شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِه فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (الرعد:١٦).

وعندما جعل إبراهيم أصنامهم جذاذا:

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ (الشعراء).

ويقول -عز وجل-: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّه مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (المائدة:٧٦).

قوله -تعالى-: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أمر الله -تعالى- نبيه -ﷺ- أن يقول للمشركين: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ثم أمره أن يقول لهم: هو الله إلزاما للحجة إن لم يقولوا ذلك، وجهلوا من هو. ﴿أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِه أَوْلِيَاءَ﴾ هذا يدل على اعترافهم بأن الله هو الخالق وإلا لم يكن للاحتجاج بقوله: ﴿أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِه أَوْلِيَاءَ﴾ معنى، دليله قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (الزمر:٣٨) أي فإذا اعترفتهم فلم تعبدون غيره؟! وذلك الآخر لا ينفع ولا يضر، وهو إلزام صحيح.

لما نهضت الأدلة الصريحة بمظاهر الموجودات المتنوعة على انفراده بالإلهية من قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾ (الرعد:٣) وقوله: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ (الرعد:٨) وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ (الرعد:١٢) الآيات، إلى آخرها لا جرم أن تهيؤ المقام لتقرير المشركين تقريرا لا يجدون معه عن الإقرار مندوحة، ثم لتقريعهم على الإشراك تقريعا لا يسعهم إلا تجرع مرارته؛ لذلك استوقف الكلام وافتتح بالأمر بالقول تنويها بوضوح الحجة.

فالاستفهام ﴿أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِه أَوْلِيَاءَ﴾ تقرير وتوبيخ وتسفيه لرأيهم بناء على الإقرار المسلم. وفيه استدلال آخر على عدم أهلية أصنامهم للأهلية فإن اتخاذهم أولياء من دونه معلوم لا يحتاج إلى الاستفهام عنه.

وجملة ﴿لا يملكون﴾ صفة لـ﴿أولياء﴾ والمقصود منها تنبيه السامعين للنظر في تلك الصفة فإنهم إن تدبروا علموها وعلموا أن من كانت تلك صفته فليس بأهل لأن يعبد.

ومعنى الملك هنا القدرة كما في قوله -تعالى-: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّه مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ في سورة العقود (المائدة:٧٦).

وعطف الضر على النفع استقصاء في عجزهم؛ لأن شأن الضر أنه أقرب للاستطاعة وأسهل.

﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّه شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِه فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (الرعد:١٦)، أم الانتقال في الاستفهام مقابل قوله: ﴿أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِه أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ فالكلام بعد (أم) استفهام مستعمل في التهكم والتغليظ. فالمعنى: لو جعلوا لله شركاء يخلقون كما يخلق الله لكانت لهم شبهة في الاغترار واتخاذهم آلهة، أي فلا عذر لهم في عبادتهم، فجملة (خلقوا) صفة لـ(شركاء). وجملة (فتشابه) عطف على جملة (خلقوا كخلقه) فهي صفة ثانية لـ(شركاء)، والوصفان هما مصب التهكم والتغليظ.

وجملة ﴿قل الله خالق كل شيء﴾ فذلك لما تقدم ونتيجة له، فإنه لما جاء الاستفهام التوبيخي في ﴿أفأتخذتم من دونه أولياء﴾؛ بحيث ينتج أن أولئك الذين اتخذوهم شركاء لله والذين تبين قصورهم عن أن يملكوا لأنفسهم نفعا أو ضرا، وأنهم لا يخلقون كخلق الله إنهم إلا مخلوقات لله -تعالى-، وأن الله خالق كل شيء، وما أولئك الأصنام إلا أشياء داخلة في عموم كل شيء، وأن الله هو المتوحد بالخلق، القهار لكل شيء دونه.

والقهر: الغلبة، وقدم عند قوله -تعالى-: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِه وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام:١٨).

(*) أستاذ في جامعة الكويت

الثبات على الصراط المستقيم أعظم مطلب في الدنيا والآخرة

في محاضرة له ألقاها الشيخ عبد الرزاق عبد المحسن البدر في منطقة المهد بالمدينة المنورة، تحدث فيها عن (الصراط المستقيم)، وبين أنّ الصراط ذكر في آي كثيرة في كتاب الله -سبحانه وتعالى- بيانًا لعظيم شأنه وعلو مكانته ووجوب لزومه والتحذير من الانحراف عنه، وأن الله -سبحانه- لا يرضى لعباده غير صراطه المستقيم ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾(الأنعام:١٥٣)؛ هذه وصية الله -جل في علاه- أن يلزم المرء صراط الله المستقيم وألا ينحرف عنه لا ذات اليمين ولا ذات الشمال.

وهذا يتطلب من المرء مجاهدةً للنفس على الاستقامة، كما أُمر العبد على صراط الله ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾(هود:١١٢)، وأن يكون في حذر شديد وحيطة كاملة من الانحراف عن الصراط يمنة أو شملة، وأن يكون أيضًا في دعاء مستمر أن يهديه الله -جل وعلا- صراطه المستقيم.

أعظم دعوة على الإطلاق

وأشار الشيخ البدر إلى أن هذه الدعوة (أن يهديك الله -عز وجل- صراطه المستقيم) أعظم دعوة على الإطلاق، ولعظم هذه الدعوة ورفعة شأنها افترضها الله على العباد في اليوم والليلة سبع عشرة مرة بعدد ركعات الصلوات المفروضة، فإن قراءة الفاتحة ركن في كل ركعة، وعدد الركعات في الصلوات المفروضة سبع عشرة ركعة، وفي كل ركعة منها تدعو الله ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وليس في الدعوات دعوةٌ افترضها الله وأوجبها على العباد كما هو الشأن في هذه الدعوة العظيمة؛ وهذا مما يبين أهمية الصراط ولزومه وأهمية مداومة دعاء الله -سبحانه وتعالى- بأن يهديك صراطه المستقيم، ولهذا قال العلماء: ينبغي أن ينبه العوام أن هذه دعوة؛ لأن كثيرا من العوام يقرأ الفاتحة ولكنه لا يستشعر أن قوله ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)﴾ دعاء، ولهذا ينبغي أن ينبه العوام على أن قوله ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)﴾ هذا دعاء عظيم جدا، أُتبع ببيان من أهل الصراط المستقيم؟ وأيضا من الحائدون عنه المنحرفون؟ ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ هؤلاء هم أهل الصراط ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)﴾ هؤلاء المنحرفون عن الصراط.

صراط الله المستقيم علمٌ وعمل

وقوله ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي بالعلم النافع والعمل الصالح، فإن صراط الله المستقيم علمٌ وعمل، ليس علمًا بلا عمل، ولا أيضًا عملا بلا علم، بل صراط الله المستقيم علم وعمل، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾(التوبة:٣٣)، فالهدى: العلم النافع، ودين الحق: العمل الصالح؛ وهذا



هو دين الله وصراطه المستقيم، وكلما عظم حظ العبد من العلم النافع مع العمل به كان أكثر حظًا وأوفر نصيبًا من صراط الله المستقيم؛ ولهذا فإن الناس يتفاوتون في السير في صراط الله المستقيم بحسب حظهم من العلم والعمل، يتفاوتون تفاوتًا عظيمًا، وأما المنحرفون عنه فهم صنفان: مغضوب عليهم، وضالون. والمغضوب عليه: من عنده علم لكن لا يعمل به، والضال: من كان يعمل بلا علم. ودين الله وصراطه المستقيم علمٌ نافع وعملٌ صالح مع المداومة على ذلك والاستمرار، وقد كان من هدي نبينا -صلى الله عليه وسلم- كل يوم بعد صلاة الصبح بعد أن يسلّم يقول في دعائه: «اللّهُمّ إنّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيّبًا، وَعَمَلاً صالحا وفي رواية عملًا مُتَقَبّلاً»، وهذا يفيد أن هذا أمر مطلوب من المسلم كل يوم، وإذا أصبح جدّد العبد الرغبة والصدق مع الله -سبحانه وتعالى- ودعاءه -جل في علاه- أن يعينه على الأمرين: العلم النافع والعمل الصالح المقرّب إلى الله -سبحانه وتعالى.

حديثٌ عظيم الشأن

ثم أشار الشيخ البدر إلى حديث عظيم الشأن، جاء في المسند، حديثٌ عظيم الشأن في بيان الصراط المستقيم جديرٌ بكل مسلم أن يتأمله؛ لأن الحديث المشار إليه فيه مثل عظيم جدا ضربه الله -سبحانه وتعالى- لعباده ليعرفوا من خلاله صراطه المستقيم، والأمثال المضروبة في الكتاب والسنة شأنها عظيم جدا في تقريب المعاني وتوضيحها وتيسير فهمها، حتى إن الأمثال لتجعل المعاني بمثابة الأمور المشاهدة المعاينة المحسوسة، فتأملوا -رعاكم الله- هذا المثل ينفعكم الله به، جاء في المسند وغيره بسند ثابت عن النواس بن سمعان -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «ضَرَبَ اللّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَتَيْ الصّرَاطِ سُورَانِ(جداران) فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ»، هذا مثل عظيم ضربه الله -سبحانه وتعالى- لعباده ليعوا من خلاله صراطه المستقيم، وتصور هذا المثل في ذهنك طريق ممتد مستقيم ليس فيه انحراف ولا التواء ولا اعوجاج، وعلى جنبتي الصراط وأنت تسير فيه سوران على يمينك وعلى يسارك، وفي السورين من الجانب الأيمن والأيسر أبواب كثيرة وهذه الأبواب ليس عليها أقفال، وإنما عليها ستائر مرخاة، قال: «وَعَلَى بَابِ الصّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ أَيّهَا النّاسُ ادْخُلُوا الصّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تعوجوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ جَوْفِ الصّرَاطِ فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ قَالَ وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ» هذه الأبواب التي على يمينك وعلى يسارك لا تفتح أي باب منها، لماذا؟ «فَإِنّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ» ما معنى تلجه؟ أي تخرج من الصراط، تصبح خارج الصراط، «فَإِنّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ» إن ولجت فالولوج خروج من الصراط، جور عن الصراط، انحراف عن الصراط، لا تفتح الباب فإنك إن فتحته تلجه.

مناطق محرمة محظورة

ثم بيّن ذلك قال: «وَالصّرَاطُ: الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ: حُدُودُ اللّهِ تَعَالَى، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتّحَةُ: مَحَارِمُ اللّهِ -تَعَالَى» مناطق محرمة محظورة شر بلاء، محارم الله حرم الله -سبحانه وتعالى- على العبد أن يدخل، ليست محارم الله بابًا واحدا ولا اثنين ولا ثلاثة، أبواب كثيرة جدا طول سير المرء على الصراط لا تزال تمر على يمينه وتمر على شماله وتستهويه بأن يخرج، ويدخل من هذه الأبواب التي تحرف الإنسان وتجلبه وتبعده عن الصراط، قال: «وَذَلِكَ الدّاعِي عَلَى رَأْسِ الصّرَاطِ: كِتَابُ اللّهِ -عَزّ وَجَلّ»؛ {إِنّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشّرُ الْمُؤْمِنِينَ الّذِينَ يَعْمَلُونَ الصّالِحَاتِ أَنّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا(٩) وَأَنّ الّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}(الإسراء:٩-١٠)، «وَالدّاعِي فَوْقَ الصّرَاطِ: وَاعِظُ اللّهِ فِي قَلْبِ كُلّ مُسْلِمٍ» انظر هذه النعمة العظيمة ما أجلّها! فإن كلّ مسلم قد جعل الله -سبحانه وتعالى- في قلبه واعظ، ولهذا تجد كثيرا من الناس عندما تحدثه نفسه أو يدعوه قرين سوء إلى مسلك محرم أو طريق منحرف يجد في نفسه انقباضا، ويجد وحشة وعدم ارتياح، هذا واعظ جعله الله -سبحانه وتعالى- في قلب كل مسلم، لكن والعياذ بالله إذا كثر الإمساس بطل الإحساس وذهب، إذا دخل الإنسان في المنزلقات المحرمة وتعمق فيها تذهب عنه هذه الحال، وإنما توجد في قلب المسلم، وشأنها عظيم جدا، وينبغي على المسلم أن يحافظ عليها، ومن هذا المعنى ما جاء في الحديث «دَعْ مَا يَرِيبُكَ» إذا وجدت قلبك غير مرتاح غير مطمئن قلق «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ».

الثبات على الصراط المستقيم

ثم أكد الشيخ البدر أنه جدير أن يستحضر كل مسلم هذا المثل حتى يعي من خلاله هذا الصراط الذي أمر الله -سبحانه وتعالى- بسلوكه ولزومه والثبات عليه والمداومة عليه والاستمرار دون انحراف يمينا أو شمالا، ولما سُئل عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- سأله رجل عن الصراط المستقيم ما هو؟ قال «طريق تركنا النبي -صلى الله عليه وسلم- في أوله ونهايته في

وصية الله عز وجل لعباده أن يلزموا صراطه المستقيم وألا ينحرفوا عنه يمينا وشمالا

ليس في الدعوات دعوةٌ افترضها الله وأوجبها على العباد كما هو الشأن في الهداية والثبات على الصراط

من مهمات الثبات على الصراط المستقيم الإكثار من التعوذ من الشيطان الرجيم

الجنة»؛ طريق تركنا النبي -ﷺ- في أوله أرشد الأمة إليه ودعاهم إلى دخوله ولزومه والمحافظة عليه، والمنتهى الجنة.

الصراط يوم القيامة

وبين الشيخ البدر أنه كما في الدنيا هذا الصراط الذي أُمر العباد بلزومه والسير والثبات عليه، فإنه يوم القيامة ينصب على متن جهنم صراط مستقيم، أدق من الشعر وأحد من السيف، ويؤمر الناس بالمرور عليه، لا طريق إلى الجنة إلا من فوقه قال الله -تعالى-: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ بالعبور عبور الصراط ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا﴾ أي النار ﴿جِثِيًّا﴾(مريم:٧١-٧٢)، وقد أخبر نبينا -ﷺ- أن من يعبرون على الصراط لا يعبرون على مستوى واحد في السير بل بينهم تفاوت كبير جدا؛ منهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يمر ركضا، ومنهم من يمر مشيا، ومنهم من يمر زحفا، لماذا؟ لأنهم لم يكونوا على مستوى واحد في السير على الصراط المستقيم في الحياة الدنيا، تفاوتوا سيرًا في الدنيا فتفاوت سيرهم على الصراط يوم القيامة، ومن خرج عن الصراط وجار عن الصراط، كان على خطر عظيم يوم القيامة، عندما يُنصب ذلك الصراط على متن جهنم ويؤمر الناس بالمرور على متنه، ولا طريق لهم إلى الجنة إلا بالمرور عليه.

هَذَا صِرَاطُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا

ومثل هذا المثل مثلٌ آخر صح عن نبينا -ﷺ- في تعليم جميل جدًا، حتى إنه -ﷺ- جلس على الأرض من شدة نصحه وحرصه وتعليمه، وخط على الأرض خطا مستقيمًا -صلوات الله وسلامه عليه-، ثم خط من جنبتي الخط خطوطًا كلها خارجة من هذا الخط المستقيم يمينا وشمالا، ثم قال -ﷺ- مشيرا للخط المستقيم: «هَذَا صِرَاطُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا، وَهَذِهِ السُّبُلُ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»؛ فبين -ﷺ- في هذا المثل الواضح البين أن صراط الله من صفته الاستقامة لا اعوجاج فيه؛ ولهذا مطلوبٌ من العبد أن يكون على جادة مستقيمة، على هدي سوي لا يروغ روغان الثعلب مرة هنا ومرة هناك متبعًا الأهواء جاريًا وراء حظوظ النفس والشهوات، بل يجب عليه أن يكون على جادة وعلى صراط مستقيم كما أمره الله ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾(هود:١١٢)، ويحذر أشد الحذر من الخروج عن الصراط والانحراف عنه يمينا وشمالا.

الحذر من سبل الشيطان

وفي قول النبي -ﷺ-: «عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ» هذا يفيد فائدة لابد من التنبه لها ألا وهي: أن الشيطان -اللهم أعذنا وذرياتنا منه- قاعد لابن أدم بأطرقه مثلما جاء في الحديث الصحيح عن نبينا -ﷺ- قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ» بمعنى أي طريق يسلكه المرء فإن الشيطان قاعد له، حتى طريق المسجد الشيطان قاعد له في طريقه للمسجد حتى يضيِّع عليه صلاته، ولهذا شرع لنا كل مرة ندخل فيها من باب المسجد أن نقول: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، وشُرع لنا -وهذا يغفل عنه كثير من الناس- أن نتعوذ أيضا بعد الخروج من المسجد وهذا ثابت هذا يغفل عنه كثير من الناس شرع لنا حين الخروج من المسجد أن نقول «بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله اللهمّ إنّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ» يشرع لك أيضا في هذا الموطن أن تقول «وأعذني من الشيطان أو اعصمني من الشيطان» وهذا ثابت عن نبينا ﷺ لماذا؟ لأنه حتى إذا خرجت من المسجد الشيطان قاعد للإنسان في هذا الطريق، وهذا المعنى الذي في هذا الحديث دل عليه القرآن قال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف:١٦)؛ ﴿صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يتناول كل طريق خير يسير العبد فيه، ولهذا من مهمات الثبات على الصراط المستقيم الإكثار من التعوذ من الشيطان ولاسيما في المواطن التي جاء تنصيصٌ على الاستعاذة بالله من الشيطان فيها، وهي مواطن عديدة جاءت بها سنة النبي الكريم -صلوات الله وسلامه عليه- حتى يوقى العبد ويسْلم بإذن الله -تبارك وتعالى- من الشيطان، وذكر الله عمومًا عصمة وأمنة للعبد من الشيطان، والغفلة عن ذكر الله -سبحانه وتعالى- مجلبة للشيطان ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾(الزخرف:٣٦) أي ملازم، والشيطان له وصفتان جاءا في سورة الناس ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤)﴾ فإذا ذُكر الله خنس وإذا غفل عن ذكر الله وسوس.

فينبغي للعبد الثبات على هذا الصراط المستقيم والمداومة عليه، وأن يكون معتنيًا بالتعوذ بالله -سبحانه وتعالى- من الشيطان؛ لأن الشيطان يريد -بل هذا مبتغاه- خروج الإنسان من هذا الصراط المستقيم.

ينبغي للعبد الثبات على الصراط المستقيم والمداومة عليه، وأن يتعوذ بالله -سبحانه وتعالى- من الشيطان



التوبة.. وجمال البدايات

وائل رمضان

الله لطيف بعباده، ومن جميل لطفه -سبحانه- أنه فتح باب التوبة لهم مهما عظمت ذنوبهم، وكثرت خطاياهم، حتى وإن تجاوزوا الحدود ووصلوا بتفريطهم إلى درجة الإسراف، قال -تعالى-: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}.

ومن لطفه -سبحانه- أنْ فتح لهم أعمالاً متجددة ومتكررة لغفران الذنوب؛ ليظل باب الأمل والرجاء مفتوحًا أمامهم، ولتتجدد معاني التوبة في قلوبهم دائمًا، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»، وقال -صلى الله عليه وسلم-: «من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيها نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه»، وقال -صلى الله عليه وسلم-: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»، وقال -صلى الله عليه وسلم-: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر».

إننا نتعلم من التوبة إغلاق باب اليأس والإحباط، وفتح نوافذ الأمل والتفاؤل، فالتوبة بداية لحياة جديدة، والبدايات دائمًا أجمل، سواء صغرت أم عظمت، بداية الحياة، بداية النهار، بداية العلاقات والمشاعر، وعندما نتذكر البدايات نرجو أن تظل كُل الأشياء في حياتنا بدايات.

كثيرون هم الأسرى لأحزانهم وإحباطاتهم، وإذا ناداهم منادي الأمل أشاحوا بوجوههم عنه، وأصموا آذانهم، ثمّ مضوا مُهرولين إلى حيثُ يقبعونَ دائمًا، في تِلك الزّاوية الكئيبة وهم في غُرفهم منزوون، لا يقوون على فعل شيء سوى البكاء والنّحيب عَلى ما فات، والأسى على ما هو آت، مُكبّلين بالعجز وقلّة الحيلة وسوء التّدبير.

حرموا أنفسهم متعة المحاولة الجادّة للبدء من جديد، حينما أساؤوا الظّنّ بالله -جلّ جلاله- ولم يفقهوا قوله -تعالى-: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...} (الرعد: ١١).

ما أحوجنا أن نبدأ تلك البداية الجديدة بالتوبة! ما أحوجنا أن نقول لأنفسنا: «نقطة ومن أول السطر»!

نعم.. نحن أو أغلبنا يحتاج مثل هذه الرسالة، نحتاج تلك الوقفة مع أنفسنا، وقفة مصارحة، ووقفة مكاشفة، نُسقط فيها كل المسوغات الخادعة أو الحقائق الزائفة التي ربما تذرعنا بها وجعلنا منها حججًا، وتعاطيناها مسكنات نقنع بها أنفسنا أننا لم نقصر، أو لم نخطئ، أو ربما أننا كنا ضحايا لا حيلة لنا فيما أخذتنا إليه الأيام والمتغيرات.

(نقطة ومن أول السطر) نحتاجها لالتقاط الأنفاس وإعادة النظر فيما كان وكيف كان؟ ثم محاولة قراءة واقعنا بحيادية، فإن كان من خطأ اقترفناه، أقررنا به وسعينا لتصحيحه، وإن كان من تقصير أو ضبابية مواقف، اجتهدنا لتجلية الغيوم وتجنب التقصير، والأهم أن يتبع ذلك كله الترتيب لما هو آت.

ومثل هذه الوقفة يجب أن تكون متواترة ومتكررة طالما كنا أحياء لنتأكد أننا دائمًا على الدرب السليم سائرون، لم نشت ولم نشذ.



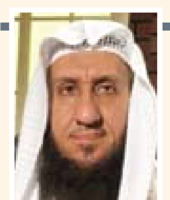
الإسلام دين الوسطية لا إفراط فيه ولا تفريط

الوسطية من أبرز ملامح العقيدة الإسلامية إذْ هي موافِقةٌ للحق ومؤيِّدةٌ به وهي مناسِبةٌ للفطرة

النبي - صلى الله عليه وسلم - حياته أكمل نموذج لوسطية إسلامية جامعة يمكن أن تتحقق في دنيا الناس

تحقيق: وائل رمضان

الإسلام دين الوسطية، ولقد شاء الله -سبحانه وتعالى- أن تكون هذه الوسطية عطاءً إلهيّا، وليس اختيارًا من خيارات المؤمنين بالإسلام، فقال -تعالى-: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة:١٤٣)، وقد جعلت هذه الآية الكريمة الوسطية علة وسببًا يترتب عليه اتخاذ الأمة الإسلامية موقع الشهود على الناس، بما فيهم من أمم وشعوب وملل ورسالات وثقافات وحضارات.



الشيخ النجدي: دين الله تعالى وسطٌ بين الغلو والجفاء والإفراط والتفريط وهذا هو الصراط المستقيم الذي أمرنا أن نسأل الله تعالى أن يهدينا إليه كلّ يومٍ في صلاتنا

معنى الوسطية لغة

الوسطية مأخوذة من مادة وسط، وهي كلمة تدل على العدل والفضل والخيرية والنصف والتوسط بين الطرفين، يقول ابن فارس: «الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على العدل والنصف، وأعدل الشيء: أوسطه ووسطه». ويقول ابن منظور «وسط الشيء وأوسطه: أعدله».

الوسطية في الاصطلاح

الوسطية اصطلاحًا: «سلوك محمود - مادي أو معنوي - يعصم صاحبه من الانزلاق إلى طرفين مُتقابلين - غالبًا - أو مُتفاوتين، تتجاذبهما رذيلتا الإفراط والتفريط، سواء في ميدان ديني أم دنيوي»، والمعنى الاصطلاحي يدور حول الاعتدال، وتجنُّب الغلو والتقصير؛ قال ابن القيم: «ما أمر الله - عزّ وجل - بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إمّا تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو، فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين».

المفهوم الإسلامي للوسطية

ولكن المفهوم الإسلامي للوسطية ليس كذلك، فالوسطية في الإسلام وسطية جامعة، تمثل موقفًا ثالثا بين القطبين المتقابلين والمتناقضين، لكنها لا تغاير هذين القطبين مغايرة تامة، وإنما تَجمع منهما عناصرَ الحق والعدل؛ لتكوِّن منها وبها هذا الموقف الوسطي الجديد، فهي في حقيقتها رفضٌ للغلوّ الذي ينحاز إلى قطبٍ واحد من هذين القطبين: غلو الإفراط أو غلو التفريط.

أكمل نموذج للوسطية

ولأن النموذج والقدوة والأسوة تنهض بالدور الأول في ميدان التربية والتزكية والصياغة للإنسان والمجتمع والثقافة والحضارة، فقد شاء الله -سبحانه وتعالى- أن تكون القدوة والأسوة للأمة الوسط: ذلك النبي الأمي -ﷺ- الذي جسدت حياته أكمل نموذج لوسطية إسلامية جامعة يمكن أن يتحقق في دنيا الناس.

سمةٌ ثابتة بارزةٌ في أبواب الإسلام

لقد كانت الوسطية والاعتدال سمة ثابتة بارزة في كلِّ بابٍ من أبواب الإسلام: في الاعتقاد، والتشريع، والتكليف، والعبادة، والشهادة والحكم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، والأخلاق والمعاملة، وكسب المال وإنفاقه، ومطالب النفس وشهواتها.

شأن المسلم مع الدين والحياة

ولعل أوضح دليل نذكره هنا: الآيات الآمرة بصلاة الجمعة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠)﴾، فهذا هو شأن المسلم مع الدين والحياة حتى في يوم الجمعة بيع وعمل للدنيا قبل الصلاة، ثم سعي إلى ذكر الله وإلى الصلاة، وترك للبيع والشراء وما أشبهه من مشاغل الحياة، ثم انتشار في الأرض وابتغاء الرزق من جديد بعد انقضاء الصلاة، مع عدم الغفلة عن ذكر الله كثيرا في كل حال، فهو أساس الفلاح والنجاح.

دين الله -تعالى- وسطٌ بين الغلو والجفاء

وعن مفهوم الوسطية قال رئيس اللجنة العلمية بجمعية إحياء التراث الإسلامي الشيخ: محمد الحمود النجدي: إن الوسطية مأخوذة من كلمة (وسط) وهي تستعمل في معان عدة، فتأتي بمعنى: الخيار والعدل، وتستعمل لما كان بين شرين وهو خير، وقد جاء وصف الأمة بالوسطية في قوله -تعالى-: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ (البقرة: ١٤٣). وسطاً: كاملين معتدلين، (لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ)، وصحّ عن النبي -ﷺ- أنه فسر الوسط في الآية بمعنى: «العدل» كما في البخاري (٥/ ١٥١)، وقد أمر الله -تعالى- بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ...﴾ وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾ المائدة.

دين الله -تعالى- وسطٌ بين الغلو والجفاء

فدين الله -تعالى- وسطٌ بين الغلو والجفاء، والإفراط والتفريط، وهذا هو الصراط المستقيم الذي أُمرنا أن نسأل الله -تعالى- أن يهدينا إليه، كلّ يوم في صلاتنا بقولنا (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ× صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ)، والذين أنعم الله عليهم قد بيّنهم الله -تعالى- بقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ

وسطية الإسلام في الأخلاق

الإسلام وسط في الأخلاق بين غلاة المثاليين الذين تخيلوا الإنسان ملاكا أو شبه ملاك، فوضعوا له من القيم والآداب ما لا يمكن له، وبين غلاة الواقعيين الذين حسبوه حيوانا أو كالحيوان، فأرادوا له من السلوك ما لا يليق به فأولئك أحسنوا الظن بالفطرة الإنسانية فاعتبروها خيرا محضا، وهؤلاء أساؤوا بها الظن، فعدوها شرا خالصا، وكانت نظرة الإسلام وسطا بين أولئك وهؤلاء. فالإنسان في نظر الإسلام مخلوق مركب فيه العقل، وفيه الشهوة، قد هدى للنجدين، وتهيأ بفطرته لسلوك السبيلين، إما شاكرا وإما كفورا. ومهمته جهاد نفسه ورياضتها حتى تتزكى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)﴾.

اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾ (النساء: ٦٩)، وأما المغضوب عليهم والضالون فهم: اليهود والنصارى كما صح عن النبي -ﷺ-، الذين فارقوا الصراط المستقيم تارة بالغلو والإفراط، وتارة بالجفاء والتفريط، وقد خاطبهم الله -تعالى- بقوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (المائدة: ٧٧)، قال الطبري: «يقول: لا تفرطوا في القول فيما تدينون به من أمر المسيح، فتجاوزوا فيه الحق إلى الباطل، فتقولوا فيه: هو الله، أو هو ابنه، ولكن قولوا: هو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه» (التفسير)، وتشهد هذه الأمة على الأمم السابقة، حين تنكر الرسالات إليها، وتفتري الكذب كما في حديث الشفاعة الطويل.

أحاديث تحذر من الغلو

ثم بين الشيخ النجدي أن هناك أحاديث عدة وردت في التحذير من الغلو: فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال لي رسول الله -ﷺ- غداة جمع (المزدلفة): «هلمّ القط لي الحصى» فلقطت له حصيات من حصى الخذف، فلما وضعهن في يده قال: «نعم، بأمثال هؤلاء، وإيّاكم والغُلو في الدين، فإنّما أهلك من كان قبلكم الغُلو في الدين»، رواه أحمد والنسائي وابن ماجة وغيرهم، وهو صحيح، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: وهذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال، وسبب هذا اللفظ العام: رمي الجمار، وهو داخل فيه، مثل الرمي بالحجارة الكبار بناء على أنها أبلغ من الصغار، ثم علّله بما يقضي مجانبة هديهم، أي: هدي من كان قبلنا إبعاداً عن الوقوع فيما هلكوا به، وأن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه من الهلاك. انتهى. وكم في المسلمين اليوم من يُخالف هدي النبي -ﷺ- ويقع في الغلو برميه بالحصى الكبار، فيغلو في دينه ويؤذي إخوانه!

هلك المتنطعون

وقال -ﷺ-: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثاً. رواه مسلم، والمتنطعون: المُتعمّقون المغالون، المُجاوزون الحدود، في أقوالهم وأفعالهم. قاله النووي في شرح مسلم.

إن هذا الدين يسرٌ

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه-: عن النبي -ﷺ- قال: «إن هذا الدين يسرٌ، ولن يُشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء عن الدلجة». أخرجه البخاري، قال ابن حجر: والمعنى: لا يتعمق أحدٌ في الأعمال الدينية، ويترك الرفق إلا عجز وانقطع، فيغلب. (الفتح: ١/ ٩٤).

النظام الإسلامي تتوازن فيه حرية الفرد ومصلحة الجماعة وتتكافأ فيه الحقوق والواجبات وتتوزع فيه المغانم والتبعات بالقسطاس المستقيم

وَلَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا

وعن عبد الرحمن بن شبل: أن رسول الله -ﷺ- قال: «اقرؤا القرآن ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به، ولا تجفوا عنه، ولا تغلوا فيه». أخرجه الإمام أحمد، قال المناوي: ولا تغلوا فيه: تجاوزا حدّه من حيث لفظه أو معناه بأن تتأولوه بباطل، أو المراد: لا تبذلوا جهدكم في قراءته وتتركوا غيره من العبادات، فالجفاء عنه: التقصير، والغلو التعمق فيه، وكلاهما شنيع، وقد أمر الله بالتوسط في الأمور فقال: ﴿وَلَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ فيض القدير: (٢/ ٦٤).

التساهل مذموم

وأكد الشيخ النجدي أن التساهل أيضاً مذموم: كما جاء في القرآن التحذير من التفريط والتساهل، قال -تعالى-: ﴿وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾ (الكهف: ٢٨)، وقال -تعالى-: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ (الزمر: ٥٦)، قال الطبري: (٢٤/ ١٩): يقول: على ما ضيعت من العمل بما أمرني الله به، وقصّرت في الدنيا في طاعة الله، وقال -ﷺ-: «أمّا إنّه ليس في النوم تفريطٌ، إنّما التفريط على مَنْ لم يُصلِّ الصلاة، حتى يجيء وقت الصلاة الأخرى...». رواه مسلم، قال بعض السلف: ما أمرَ الله -تعالى- بأمرٍ إلا وللشيطان فيه نَزْغتان: إمّا إلى تفريط وتقصير، وإما إلى مُجاوزةٍ وغلو، ولا يُبالي بأيّهما ظَفر.

وادي التقصير ووادي المجاوزة والتعدّي

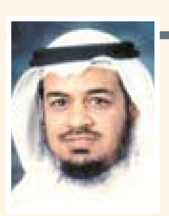
قال ابن القيم -رحمه الله-: «وقد اقتُطع أكثر الناس إلا أقلّ القليل في هذين الواديين: وادي التقصير، ووادي المجاوزة والتعدّي، والقليل الثابت على الصراط الذي كان عليه رسول الله -ﷺ- وأصحابه». (إغاثة اللهفان ١/ ١١٦)، وبهذا تعلم غربة من ثبت على الوسطية وقلتهم في كل زمان ومكان، وكل خير وفضل ثبت لهذه الأمة، فلأهل السنة والجماعة منه الحظ الأوفر، والقدح المعلّى، فهم الطائفة التي تتحقق فيها الوسطية المطلقة لهذه الأمة.

وسطية الإسلام هي القصد في الاستقامة

وعن معالم الوسطية التي ميز الله بها أمة الإسلام ومقوماتها، قال الأستاذ بكلية الشريعة جامعة الكويت أ.د. وليد خالد الربيع: الوسطية هي القصد في الاستقامة على صراط الله المستقيم، وذلك بالسير إلى الله -تعالى- على منهج معتدل قائم على السنة والعلم، مجانب للغلو والتقصير، وبعيد عن الإفراط والتفريط، وهذا تفسير النبي -ﷺ- لقوله -تعالى-: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قَالَ: الْوَسَطُ: الْعَدْلُ» أخرجه البخاري.

وسطية الإسلام في العبادات والشعائر

الإسلام وسط في عباداته، وشعائره بين الأديان، والنحل التي ألغت الجانب (الرباني) جانب العبادة والتنسك والتأله من فلسفتها وواجباتها، كالبوذية التي اقتصرت فروضها على الجانب الأخلاقي الإنساني وحده، وبين الأديان والنحل التي طلبت من أتباعها التفرغ للعبادة والانقطاع عن الحياة والإنتاج، كالرهبانية المسيحية.



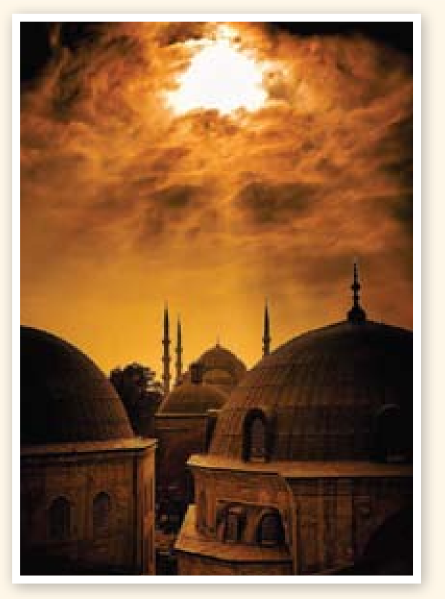
د. الربيع: الوسطية تعني الوقوف حيث أوقفنا الشرع والامتثال لنصوصه وأحكامه ولا تعني تمييع الدين أو عدم اتخاذ الموقف الشرعي من المتناقضات بحجة الوسطية

الوسطية لا تعني تمييع الدين

وعن خلط بعضهم بين الوسطية والتساهل أو تمييع ثوابت الدين قال د. الربيع: الوسطية تعني الوقوف حيث أوقفنا الشرع، والامتثال لنصوصه الكريمة وأحكامه القويمة، ولا تعني الوسطية (تمييع الدين)، أو عدم اتخاذ الموقف الشرعي من المتناقضات بحجة الوسطية، فليس من الوسطية عدم التمييز بين التوحيد والشرك، أو السنة والبدعة، والتزكية المشروعة والتصوف المنحرف، فرسول الله -ﷺ- هو أعلم الناس بالدين وأكثرهم اعتدالا وامتثالا ومع ذلك كان ينكر مظاهر الانحراف في الدين، والسيرة العطرة شاهدة بذلك.

القدوة العملية للوسطية

وعن الوسائل التي من خلالها ربى النبي -ﷺ- أصحابه على الوسطية بين د. الربيع أن النبي -ﷺ- رسخ في أصحابه الوسطية بالقدوة العملية؛ فعن أنس قال: جاء ثلاثة نفر إلى أبيات أزواج النبي -ﷺ- يسألون عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من رسول الله؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدا، وقال الآخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء النبي -ﷺ- فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني أخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني» متفق عليه.



التحذير من الغلو والتطرف

وحذرهم -ﷺ- من الغلو والتطرف فقال -ﷺ-: «إياكم والغلو في الدين! فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»، قال شيخ الإسلام: «وهذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال»، وقال -ﷺ-: «هلك المتنطعون» ثلاثا، قال النووي: أي: المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم، وقال ابن مسعود: والذي لا إله إلا هو ما رأيت أحدا كان أشد على المتنطعين من رسول الله -ﷺ-، وما رأيت أحدا كان أشد عليهم من أبي بكر، وإني لأرى عمر كان أشد خوفا عليهم أو لهم، وأمرهم بالتيسير وترك المبالغة فقال: «إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة».

خذوا من الأعمال ما تطيقون

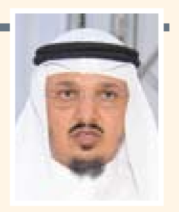
قال ابن الأثير: يشاد الدين: أي يقاومه ويكلف نفسه من العبادة فوق طاقته، وقال ابن حجر: والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب»، وفي حديث الحولاء بنت تويت حين قالت لها عائشة -رضي الله عنها-: هذه الحولاء بنت تويت زعموا أنها لا تنام الليل، فقال -ﷺ-: «لا تنام الليل! خذوا من الأعمال ما تطيقون، فو الله لا يسأم الله حتى تسأموا»، وقال أنس: دخل رسول الله -ﷺ- المسجد وحبل ممدود بين ساريتين، فقال: ما هذا؟ قالوا: حبل لزينب، تصلي فإذا كسلت أو فترت أمسكت به فقال: «حلوه، ليصلّ أحدكم نشاطه فإذا كسل أو فتر قعد».

دور العلماء في بيان منهج الإسلام الوسط

وعن دور العلماء في بيان منهج الإسلام الوسط في ظل حملات التشويه التي يتعرض لها وأنه دين العنف والتطرف، قال د. الربيع: العلماء ورثة الأنبياء، جعل الله -تعالى- لهم القبول في قلوب الخلق، وأمر الناس بالرجوع إليهم فقال -سبحانه-: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، فمن خلال تواصلهم مع الناس يبينون معالم الوسطية الإسلامية والمنهج المعتدل في الاعتقاد والأخلاق والأعمال، ولا ينبغي تحميل العلماء مسؤولية الدول، فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها، فما تقدر عليه الدولة لما لها سلطة قد لا يقدر عليه العالم بقدراته المحدودة، ولا ننسى أن على المسلم مسؤولية فردية تجاه نفسه ومن تحت ولايته؛ بأن يعلم الحق ويعمل به ويعلمه أسرته، ولا يلقي أثر إهماله على العلماء، ولا يحمل تقصيره على غيره فقد قال -تعالى-: ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾، فهل مطلوب من العالم أن يدور على بيوت المسلمين يعلمهم ويحذرهم، أم أن مسؤولية المسلمين أن يبحثوا عن الحق ليعملوا به؟!

وسطية الإسلام في التشريع

الإسلام وسط في تشريعه ونظامه القانوني والاجتماعي، وأبرز ما تتجلى فيه الوسطية هنا: مجال الفردية والجماعية التوازن بين الفردية والجماعية، وفي النظام الإسلامي تلتقي الفردية والجماعية في صورة متزنة رائعة، تتوازن فيها حرية الفرد ومصلحة الجماعة، وتتكافأ فيها الحقوق والواجبات، وتتوزع فيها المغانم والتبعات بالقسطاس المستقيم.



د. الشريكة: يسعى مركز تعزيز الوسطية لبث روح التسامح والحلم وتقبل الآخرين وبث روح الود في حل الخلافات وغض الطرف وكذلك ما يتعلق بالرفق في التعامل مع الجميع

دور المؤسسات الإسلامية والتربوية

وعن دور المؤسسات الإسلامية والتربوية في تربية الأمة على منهج الإسلام الوسطي قال د. الربيع: التربية صناعة الإنسان، وهي أشد من تشكيل الحديد؛ لأن الإنسان مجموعة من الأنظمة المعقدة من المعلومات والإرادات والسلوكيات تحت تأثير المؤثرات الخارجية والداخلية، فالتربية الصحيحة عملية طويلة لبناء المفاهيم السليمة والأخلاق القويمة، وهذا يحتاج إلى علم سديد، وتدريب مستمر، وتوجيه دائب، وتحذير مستمر من الانحرافات العقائدية والأخلاقية والمنهجية، مع مراعاة طبيعة العصر ومتغيراته الجديدة، فالناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم.

دور الإعلام في تعزيز الوسطية

أما عن دور الإعلام في تعزيز معاني الوسطية ونبذ الأفكار المنحرفة والمتطرفة، قال د. الربيع: التواصل مع الجمهور في هذا الزمان أسهل بكثير مما قبله، فوسائل التواصل الاجتماعي اليوم أشد تأثيرا في العامة من غيرها، فبث معالم الوسطية بأسلوب واضح وشيق، موثق غير تقليدي، وكشف الانحرافات والتطرف بأسلوب معاصر قريب من لغة العصر مع التوثيق والتدقيق يساهم في تعزيز معاني الوسطية لدى الجمهور.

حماية الشباب من الأفكار المنحرفة

وعن كيفية حماية الشباب من الأفكار والمناهج المنحرفة التي تجرفهم بعيدًا عن وسطية الإسلام وسماحته، نشر العلم الصحيح، بالأدلة النقلية الصحيحة والحجج العقلية الواضحة، باللغة العصرية التي تناسب طبيعة الشباب بعيدا عن الطريقة التقليدية، يساهم كثيرا في حماية الشباب من الانحراف، فالمناهج المنحرفة لا تنمو إلا في الظلام وانتشار الجهل.

تعزيز الوسطية ونبذ التطرف

وعن تعزيز الوسطية ونبذ التطرف والإرهاب قال وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أمين عام اللجنة العليا لتعزيز الوسطية فريد عمادي: إنّ ظاهرة التطرف والغلو ليست عابرة كبقية الظواهر الاجتماعية التي اعترت البشرية ثم تلاشت واندثرت، إننا أمام داء فتاك ومنهجية حانقة وفكر ضيق منحرف في منطلقاته، مشوه في تصوراته، معوج في تفكيره، وهو فكر التطرف والإرهاب والكراهية والإقصاء».

وأضاف إنّ هذا الفكر اتخذ من إشكاليات الأمة ومعاناتها في قضايا الاقتصاد والوحدة وتناقضاتها السياسية مطية لتنفيذ أجندته الخبيثة المشبوهة وسبيلا للعيش والتمدد والانتشار عبر بوابة العولمة وأدواتها من شبكة المعلومات وفضائيات.

لا يقدم الإسلام على النحو الحقيقي

وأشار عمادي إلى أنّ الفكر المتطرف لا يقدم الإسلام للناس على النحو الذي أراده الله؛ الأمر الذي دفع كثيرا من الشباب إلى المحرقة باسم الدفاع عن الإسلام وحراسة حياضه، وشوه صورة الإسلام، ومنح المغرضين الذريعة للانقضاض على الشريعة الإسلامية غير مفرقين بين المبدأ والممارسة.

هداية الخلائق هي الأصل

وبين عمادي أن هذا الفكر صبغ عمليات القتل والاغتيال لمن عصمت الشريعة دماءهم بثوب الجهاد في سبيل الله تحت مسميات عدة، كما جعل الجهاد غاية مع أنه لم يكن يوما هدفا في ذاته ولا غاية مستقلة، ولفت إلى أن الجهاد في الإسلام يعد وسيلة ضمن وسائل عديدة لتحقيق الأهداف العظمى والآمال السامية «لأن هداية الخلائق هي الأصل والجهاد فرع عنها».

تكفير الناس وإقصاء المخالف

وأوضح عمادي أنّ البنية الفكرية لهؤلاء قائمة على تكفير الناس وإقصاء المخالف ومعاداة الأوطان والديار، واغتيال الحكام والمسؤولين، واستحلال أموال الناس وأعراضهم، وبث روح الفرقة والشتات بين أبناء الوطن الواحد، والحض على الكراهية، وتأليب الشعوب على حكامها.

منهجية مبشرة

وأشار عمادي إلى ما وصفه بالمنهجية المبتسرة التي لم تعرفها الأمة عبر علمائها المعتبرين كالنظر إلى الشريعة باجتزاء منقوص، واستلاب مهام أئمة الإسلام، واجتزاء أحكام الإسلام دون ضوابط، والتلفيق بين النصوص وفهم الشريعة فهما ظاهريا، دون اعتبار المقاصد وإهمال النظر في المآلات والعواقب.

استغلال الفضاء المعلوماتي

ولفت عمادي كذلك إلى استغلال الفضاء المعلوماتي لبث أفكار هؤلاء الضالة والدعوة إلى مبادئهم المنحرفة، وللتعبئة الفكرية والتجنيد العسكري، مؤكدا ضرورة مواجهة هذه الأمور بأسلوب عملي وجاد، وقال: إن تجارب أمتنا مع التطرف تقطع بأنه كالورم السرطاني، ما يلبث أن يجتث أو يبتر إلا يعود مرة أخرى.

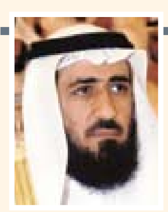
وثيقة وطنية لتعزيز الوسطية والاعتدال

وأشار عمادي إلى أن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية شرعت في اتخاذ منحى إيجابي عملي من خلال خطتها الاستراتيجية في صورة (وثيقة وطنية لتعزيز الوسطية والاعتدال)،

وسطية الإسلام في الاعتقاد

لقد كانت الوسطية من أبرز ملامح العقيدة الإسلامية؛ إذْ هي موافِقةٌ للحق، ومؤيِّدةٌ به، وهي مناسِبةٌ للفطرة، لا إفراط فيها ولا تفريط، فالعقيدة الإسلامية متوسطة بين إفراط النصارى وتفريط اليهود، وبين غلوِّ النصارى في المسيح وتطرفِّ اليهود في عصيان أنبيائهم، وتنطعهم في السؤال والجدال.

عمادي: الفكر المتطرف لا يقدم الإسلام للناس على النحو الذي أراده الله بل شوه صورته ومنح المغرضين الذريعة للانقضاض عليه وبث الشبهات حول أحكامه وثوابته



تتكون من أربعة محاور، تتضمن التوجيه الديني والأخلاقي والاجتماعي والنفسي وفق أساليب ومنهجيات مبتكرة، وصياغة منظومة إعلامية لدعم التواصل الفعال مع الفئات كافة، وأشاد في هذا السياق بالمحور التقني بقصد تصميم منظومة الكترونية وتطويرها؛ لتلبي متطلبات الفكر الوسطي المعتدل، إلى جانب محور الأمن المجتمعي بقصد تعزيزه بأساليب متطورة ومبتكرة.

الوثيقة الوطنية للوسطية والاعتدال

ومن النماذج المتميزة بدولة الكويت التي تسعى لتعزيز الوسطية في مواجهة التطرف الفكري أو السلوكي هو (مركز تعزيز الوسطية) التابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وقد بين مدير المركز د.عبدالله الشريكة أنّ من اختصاصات مركز تعزيز الوسطية محاربة التطرف الفكري والسلوكي، كما هو منصوص عليه في قرار تشكيله، ونحن والإخوة في المركز نبذل ما بوسعنا لمعالجة مثل هذه الظواهر الدخيلة على مجتمعنا الكويتي المعروف بحبه للخير، واحترامه للآخرين، وحفظ حقوق الناس، وعدم الاقتحام أو التدخل في خصوصياتهم، لكن نلحظ أحيانا أن هناك من ينتهك تلك الخصوصيات ويتصرف تصرفا سلوكيا منحرفا عما عهد به هذا المجتمع الطيب، فنراهم مثلا يقومون بأفعال مخالفة للشرع أولا، ثم للقانون وللعادات والتقاليد، ومن ذلك السرعة في الغضب المنفلت الذي رأينا أنه أدى إلى الكثير من حالات الشجار الدموي وفي بعض الحالات أدى إلى جرائم قتل.



وأضاف د. الشريكة: نحن نسعى -بإذن الله تعالى من خلال المركز- لبث روح التسامح والهدوء والحلم، كذلك روح تقبل الآخرين وروح الود في حل الخلافات وغض الطرف، وكذلك ما يتعلق بالرفق في التعامل مع الجميع، وطبعا دورنا خلال هذه الأزمة سيكون من خلال مواقع التواصل الاجتماعي ونسأل الله أن يعيننا على ذلك.

بين الدفاع والاندفاع

وعن خلط بعضهم بين (الدفاع) عن قضايا الأمة، وبين الاندفاع وعدم الحكمة والانضباط في ردود الأفعال، قال د. الشريكة: الدفاع عن قضايا الأمة الإسلامية لا شك أنه من الواجبات الكفائية على كل من يقدر على أن يقوم بهذا الدفاع بالأساليب المشروعة الحكيمة التي شرعها الإسلام؛ فالإسلام دين يدعو إلى الحكمة والتعقل وعدم الاستعجال، ويحذر غاية التحذير من التهور والاندفاع الذي قد تكون عواقبه وخيمة على الأمة.

التحذير من الأفعال المتحمسة والمندفعة

وأضاف د. الشريكة قائلاً: النبي -ﷺ- حذّر من كل عاقبة يؤدي إليها فعل متحمس أو مندفع؛ ولذلك لما أرسل حذيفة -رضي الله عنه- في غزوة الأحزاب ليأتي بخبر القوم وكم عددهم وعتادهم، يتسلل بينهم كما في القصة المعروفة، فقال له الرسول -ﷺ- «ولا تذعرهم علي» ولا تفعل شيئا قد تكون ردة فعلهم عليه وخيمة، أي لا تتصرف بتصرف يهيج هؤلاء على دولة المسلمين، ولم يكن للمسلمين آنذاك طاقة بهم، ولهذا بين العلماء وقرروا وحرروا أنه حتى في قضايا إنكار المنكر إذا كان يؤدي إلى ما هو أنكر فإنه يترك، ومن قواعد الشريعة أنه ترتكب المفسدة الأدنى لدفع المفسدة الأعلى عند التزاحم، ولذلك في مثل هذه الأمور يجب الرجوع إلى العلماء الصادقين الربانيين وليس إلى المتحمسين أو الذين لا يقدرون عواقب الأمور، ونحن لا نشك أن أكثر هؤلاء نيتهم طيبة وقصدهم حسن.

إصدارات مركز الوسطية

وعن إصدارات مركز الوسطية في هذا الاتجاه قال د. الشريكة: قمنا في مركز الوسطية بطباعة إصدارات عدة منها: (الوسطية في التعامل مع الحكام)، ومنها (الوسطية في التعامل مع العلماء)، وكيف نتعامل مع العالم المسلم إذا اخطأ وإذا لم يوفق في أمر ما؟ بمعنى أن نحفظ له حقوقه ومكانته، وفي المقابل لا نقبل ما يقع منه من مخالفات للأدلة والنصوص الشرعية، كذلك أصدرنا إصدارا بعنوان (الوسطية في التعامل مع العصاة)، والثاني بعنوان (الوسطية في التعامل مع غير المسلمين).

الوسطية في منهج أهل السنة والجماعة

لقد تهذبت به -ﷺ- نفوس أصحابه الكرام، حتى كانت سلوكياتهم ومعاملاتهم للخلق في تمام الاعتدال والقصد، فورثوا وسطية الإسلام الحقة التي أرسى قواعدها رسول الله -ﷺ-، وقد تمثلت وسطية الإسلام بعد ذلك في منهج جامع رصين، سماه المسلمون بـ(منهج أهل السنة والجماعة)؛ إذ مَثّل هذا المنهج ما كان عليه رسول الله -ﷺ- وأصحابه عقيدة وعملًا وحالًا.



خطبة الحرم المكي

تقوى الله -تعالى- خير زاد

جاءت خطبة الحرم المكي بتاريخ ٢٠٢١-١٢-٢٤ الموافق ٢٠/٠٥/١٤٤٣ للشيخ عبد الله بن عواد الجهني بعنوان: (تقوى الله -تعالى- خير زاد)؛ حيث بين أنّ طالبَ اللهِ والدارِ الآخرةِ لا يستقيم له سَيرُه وطلبُه، إلا بحبسين: حبس قلبه في طلبه ومطلوبه، وحبسه عن الالتفات إلى غيره، وحبس لسانِه عمّا لا يفيد، وحبسه على ذكر الله، وما يزيد في إيمانه ومعرفته، وحبس جوارحه عن المعاصي والشهوات، وحبسها على الواجبات والمندوبات، فلا يفارق الحبس حتى يلقى ربه، فيُخلّصه من السجن إلى أوسع فضاء وأطيبه، ومتى لم يصبر على هذين الحبسين، وفرّ منهما إلى فضاء الشهوات، أعقبه ذلك الحبس الفظيع عند خروجه من الدنيا، فكلُّ خارجٍ من الدنيا إمّا متخلص من الحبس، وإما ذاهبٌ إلى الحبس.

وبين الشيخ الجهني أن من رحمة الله بعبده الإنسان أنه لم يتركه سدى، بل جعل له نورًا يهتدي به، وقوةً يرتكز عليها، وسلاحًا يُدافع به، فأرسَل أنبياءه ورسُلَه مبشرينَ ومنذرينَ، وأمرَه بالاعتصام بالله، والاستعانة به، وحثّه على التقوى التي تدفع كلّ سوء.

حقيقة التقوى

وعن حقيقة التقوى قال الشيخ الجهني: التقوى شعور يقع في قلب المؤمن تظهر آثاره على الجوارح، تحمله على الرغبة فيما عند الله، والعمل لتحصيله، وتُورث الخشيةَ من الله ومن سخطه، فيبتعد عن معاصي الله، فالتقوى إيمان راسخ، وقوة نفسية، لا ترضى الوقوع في معاصي الله، ولا التكاسل عن أداء الواجب لله، تسير بالمؤمن على صراط مستقيم، ومنهج سليم، حتى يصل إلى دار القرار والنعيم، ولقد أوصى الله -عز وجل- جميعَ خَلقه ﴿الأولينَ والآخرينَ﴾ بأن يتقوه، وخصّ المؤمنين بوصية التقوى فقال -تبارك وتعالى-: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ (النّسَاء: ١٣١)، قال أهل العلم: «هذه الآية هي رَحَى آيِ القرآنِ كلّه؛ لأنّ جميعه يدور عليها، فما من خير عاجل ولا آجل، ظاهر ولا باطن، إلّا وتقوى الله سبيل مُوصل إليه، ووسيلة مبلّغة له، وما من شر عاجل ولا ظاهر ولا آجل ولا باطن إلا وتقوى الله حرزٌ متينٌ، وحصنٌ حصينٌ، للسلامة منه، والنجاة من ضرره».

إن تقوى الله هي عبادته بفعل الأوامر وترك النواهي، عن خوف من الله، وعن رغبة فيما عنده، وعن خشية له، وعن تعظيم لحرماته، وعن محبة صادقة له، ولرسوله -ﷺ-.

التقوى في كتاب الله

وأشار الشيخ الجهني إلى أن التقوى ذُكِرَت في كتاب الله، في أكثر من مائتين وخمسين موضعًا، بل إنه قد تكرّر الأمرُ بالتقوى في الآية الواحدة مرتين أو ثلاثة، قال -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الْحَشْر:١٨)، وقال -تعالى-: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الْمَائِدَة: ٩٣).

التقوى دأب الأنبياء والمرسَلين

وقد كان هذا دأب الأنبياء والمرسَلين -عليهم الصلاة والسلام- مع أممهم بالوصية بتقوى الله -عز وجل-، فنوح -عليه الصلاة والسلام- أولهم، قال -تعالى-: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الشُّعَرَاء: ١٠٥-١٠٦)، وبعده عاد -عليه الصلاة والسلام-، قال -تعالى-: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الشُّعَرَاء: ١٢٣-١٢٤)، وصالح -عليه الصلاة والسلام- مع قومه، قال -تعالى-: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الشُّعَرَاء: ١٤١-١٤٢)، ولوط -عليه الصلاة



التقوى شعور يقع في قلب المؤمن يحمله على الرغبة فيما عند الله ويورثه الخشية منه سبحانه

لا فَلاحَ للأمة ولا عزّ لها ولا كرامة ولا نصر ولا تأييد إلا بدينها وبإسلامها وبتقوى ربها

والسلام- مع قومه، قال -تعالى-: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الشُّعَرَاء: ١٦٠-١٦١)، وشعيب -عليه الصلاة والسلام- مع أصحاب الأيكة، قال -تعالى-: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الشُّعَرَاء: ١٧٦-١٧٧).

التقوى وقضايا التشريع

ولو أمعنّا النظرَ في بعض قضايا التشريع لَوجدنا التقوى في مقدمتها، تهيئةً لها، أو نتيجةً عنها، وفي مقدمة ذلك قضية الربا، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الْبَقَرَة: ٢٧٨)، وتقوى الله هي سياج الأمان من كل رذيلة، والملاذ من نزغات الشيطان، قال -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (الْأَعْرَاف: ٢٠١)، والتقوى في الدنيا مجلبة لبركات السماء والأرض؛ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الْأَعْرَاف: ٩٦).

مساق المتقين

وفي أعظم المواقف وأخطرها في الآخرة، حين يجمع الله الخلائق، ولم يبقَ إلا السّوْق، إمّا إلى الجنة، وإمّا إلى النار، في يوم يجعل الولدان فيه شيبًا، ويفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، نجد مساق المتقين كما قال -تعالى-: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزُّمَر: ٧٣).

عِظَم أمر التقوى

ولعِظَم أمر التقوى كانت وصية رسول الله -[ﷺ]- في آخر حياته، هي تقوى الله والسمع والطاعة لولاة الأمور، كما جاء في حديث العرباض بن سارية، -رضي الله عنه- وفيه: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن كان عبدًا حبشيًّا، فإنه مَنْ يعش منكم ير بعدي اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنّتي وسُنّة الخلفاءِ الراشدينَ المهديينَ، عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثاتِ الأمور، فإن كلّ محدَثة بدعةٌ، وكلّ بدعة ضلالةٌ» (أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح)، قال ابن رجب الحنبلي -رحمه الله-: «فهاتان الكلمتان تجمعان سعادة الدنيا والآخرة، أمّا التّقوى، فهي كافلةٌ بسعادة الآخرة لمن تمسّك بها، وأمّا السّمع والطاعة لوُلاة أُمور المسلمين، ففيها سعادةُ الدُّنيا، وبها تنتظمُ مصالحُ العباد في معايشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربّهم».

أجمل لباس يتزين به العبد

وأكد الشيخ الجهني على أنّ التقوى هي أجمل لباس يتزين به العبد، وأفضل زاد يتزود به، قال -تعالى-: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ (الْأَعْرَاف: ٢٦)، وقال -تعالى-: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ (الْبَقَرَة: ١٩٧).

إذا المرء لم يلبس ثيابًا من التُّقَى
تقلّب عريانًا وإن كان كاسِيَا
وخيرُ لباسِ المرءِ طاعةُ ربّه
ولا خير فيمن كان لله عاصيَا

تقوى الله هي عبادته بفعل الأوامر وترك النواهي عن خوف من الله وعن رغبة فيما عنده سبحانه

التقوى نجاة من الفتن

قال بكر المزني -رحمه الله-: «لَمّا كانت فتنة ابن الأشعث قال طلق بن حبيب -رحمه الله-: اتقوها بالتقوى. قيل له: صف لنا التقوى، فقال: العمل بطاعة الله، على نور من الله، رجاء ثواب الله، وترك معاصي الله على نور من الله، مخافة عذاب الله»، قال الإمام الذهبي -رحمه الله-: «فلا تقوى إلا بعمل، ولا عمل إلا بتروٍّ من العلم والاتباع، ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله، لا ليقال: فلان ترَك المعاصي بنور الفقه؛ إذ المعاصي يَفتقِر اجتنابُها إلى معرفتها، ويكون الترك خوفًا من الله، لا ليُمدح بتركها، فمَنْ داوَم على هذه الوصفة فقد فاز» انتهى كلامه -رحمه الله-، وقال رجل لميمون بن مهران -رحمه الله-: «يا أبا أيوب، لا يزال الناس بخير ما أبقاكَ اللهُ لهم. قال: أَقْبِلْ على شأنِكَ، ما يزال الناس بخير حتى اتقوا ربهم».

أَعْمِلُوا التقوى

ثم وجه فضيلته رسالة إلى المسلمين قائلاً: أَعْمِلُوا التقوى في نفوسكم، وفي أهليكم، وفي أموالكم، وفي أولادكم، وفي معاملتكم، وفيمن تحت أيديكم، وفيما ائتُمنتم عليه من مصالح المسلمين، وفي كل مجال من مجالاتكم، العامة والخاصة، تفوزوا وتفلحوا، قال -تعالى-: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (يُونُس: ٦٢-٦٤).

سلاح المؤمن في الدنيا وخير زاد للآخرة

وأوصيكم ونفسي بتقوى الله -تعالى-، والتمسك بدين الإسلام، والعمل بأحكامه، والاهتداء بهديه، والتحلي بفضائله، والوقوف عند حدوده، فإنه لا فَلاحَ للأمة ولا عزّ لها، ولا كرامة ولا نصر لها، ولا تأييد إلا بدينها وبإسلامها، ولا نجاة لها يوم القيامة ولا فوز لها بالجنة إلا بتقوى الله -تعالى-، فهي سلاح المؤمن في هذه الدنيا، وهي خير زاد له عند لقاء ربه، وهي النجاة من كربات الدنيا والآخرة، فمن اتقى الله وقاه، ومن عمل بطاعته رضي عنه وأرضاه.



خطبة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

سبعة يظلهم الله في ظله

مِمّا يُستَجلَبُ بِهِ ظِلّ الرَّحمَنِ العِفَّةُ عَنِ المَحارِمِ وَالآثامِ وَالخَوْفُ مِنْ ذِي الجَلالِ وَالإِكْرامِ

جاءت خطبة الجمعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لهذا الأسبوع ٢٧ من جمادى الأولى ١٤٤٣هـ - الموافق ٣١/ ١٢/ ٢٠٢١م بعنوان: سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّه؛ حيث بينت الخطبة أنّ يَوْمَ القِيامَةِ يَوْمٌ رهيبٌ، وَمَوْقِفُهُ مَوْقِفٌ جِدُّ عصيبٍ، يَشِيبُ فيه الْوِلْدَانُ، وَيَتَبرَّأُ من الوَلَدِ الوَالِدانِ، يَوْمٌ تَذْهَلُ فيه كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمّا أَرْضَعَتْ مِنْ وَلِيدٍ، وَتَرَى النّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكنّ عَذَابَ الله شَدِيدٌ؛ إِذْ تُدْنَى الشَّمْسُ مِنَ الخَلائقِ حَتّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدارِ مِيلٍ، فَيُصيبُهُمْ فَزَعٌ عَظِيمٌ، وَيَحِيقُ بِهِمْ كَرْبٌ جَسِيمٌ، وَيَعْرَقُونَ حَتّى يَغُوصَ عَرَقُهُمْ في الأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، رَوَى المِقْدادُ بْنُ الأَسْوَدِ -رضي الله عنه- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ -ﷺ- يَقُولُ: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الخَلْقِ حَتّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدارِ مِيلٍ». قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ (أي وَسَطِه)، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا» قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ (أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

ثم بينت الخطبة أنه في هَذِهِ الأَهْوالِ العَظِيمَةِ وَالخُطُوبِ الجَسِيمَةِ، يَمُنُّ اللهُ -تعالى- عَلَى أَصْنَافٍ مِنْ خَلْقِهِ فَيُظِلُّهُمْ في ظِلِّهِ، يُؤْوِيهِمْ إِلَى أَقْوَى الأَرْكَانِ، وَيُسْبِغُ عَلَيْهِمْ سَوَابِغَ الرِّضَا وَالأَمَانِ، فَمَنْ هَؤُلَاءِ أَهْلُ الكَرَامَةِ الإِلَهِيّةِ، وَأَصْحَابُ السَّعَادَةِ الأَبَدِيّةِ؟ خَرّجَ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللّهُ -تعالى- فِي ظِلّهِ يَوْمَ لا ظِلّ إِلّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابّا فِي اللّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنّي أَخَافُ اللّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ».

إِمامٌ عادلٌ

وَإِنّما اسْتَحَقّ هَؤُلَاءِ الأَصْنَافُ السَّبْعَةُ أَنْ يُظِلّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ؛ لِكَمَالِ صَبْرِهِمْ وَعِظَمِ مَشَقّتِهِ، وَأَوّلُهُمْ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَهُوَ الّذِي يَتّبِعُ أَمْرَ اللهِ وَيَحْكُمُ بِشَرْعِهِ، وَيَضَعُ كُلّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ بِلَا إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ، وَالمُرَادُ بِهِ الوَلَايَةُ العُظْمَى، وَيَلْتَحِقُ بِهِ كُلُّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أُمُورِ المُسْلِمِينَ شَيْئًا فَعَدَلَ فِيهِ؛ لِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «إِنّ المُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرّحْمَنِ عَزّ وَجَلّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا». وَقَدّمَهُ النّبِيُّ -ﷺ- عَلَى غَيْرِهِ لِعُمُومِ النّفْعِ بِهِ؛ إِذْ بِصَلَاحِهِ يَنْصَلِحُ العِبَادُ، وَيَقُومُ أَمْرُ البِلَادِ، وَيَأْمَنُ النّاسُ عَلَى دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَبِفَسَادِهِ يَفْسُدُ النّاسُ، وَيَضْطَرِبُ العَدْلُ، وَيَخْتَلُّ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

شابٌّ نَشَأ في عبادَةِ الله

وَالثّانِي مِنْ أَهْلِ الكَرَامَةِ الإِلَهِيّةِ: شَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ، أَيْ تَرَعْرَعَ فِي طَاعَةِ اللهِ، مُقْدِمًا عَلَى مَا يُحِبُّهُ اللهُ، وَمُؤْثِرًا



فِي ظِلّ الأَهْوَالِ العَظِيمَةِ وَالخُطُوبِ الجَسِيمَةِ يوم القيامة يَمُنّ اللهُ تعَالَى عَلَى أَصْنَافٍ مِنْ خَلْقِهِ فَيُظِلّهُمْ فِي ظِلّه

رِضَا مَوْلَاهُ عَلَى مَا سِوَاهُ، مُعْرِضًا عَنِ الأَهْوَاءِ وَالْمُنْكَرَاتِ، مُحِبًّا لِلْفَضَائِلِ وَالْمَكْرُمَاتِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَحَكُّمِ الشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ فِي سِنِّ الشَّبَابِ، فَلَمَّا وَاجَهَ أَمْوَاجَ الشَّهَوَاتِ، وَصَمَدَ أَمَامَ سَيْلِ الشُّبُهَاتِ، فَحَبَسَ نَفْسَهُ عَلَى الطَّاعَاتِ، وَصَبَرَ عَنِ المَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ؛ مُؤْثِرًا مَرْضَاةَ رَبِّهِ عَلَى حَظِّ نَفْسِهِ: جَزَاهُ اللهُ أَمَانًا يَوْمَ يَفْزَعُ النَّاسُ، وَظِلًّا ظَلِيلًا حِينَ النَّدَامَةِ وَالإِفْلَاسِ.

حُبُّ المَسَاجِدِ وَالتَّعَلُّقُ بِهَا

وَمِنَ الأَسْبَابِ الجَالِبَةِ لِظِلَالِ العَرْشِ: حُبُّ المَسَاجِدِ وَالتَّعَلُّقُ بِهَا، وَالشَّغَفُ بِالصَّلَاةِ وَدَوَامُ انْتِظَارِهَا، يَشْتَاقُ إِلَى الصَّلَاةِ وَمَوَاضِعِهَا اشْتِيَاقَ الغَرِيبِ إِلَى أَهْلِهِ، وَالمُسَافِرِ إِلَى وَطَنِهِ، فَالمَسْجِدُ يَجِدُ فِيهِ أُنْسَهُ وَحَلَاوَتَهُ، وَيَرَى فِيهِ حَيَاتَهُ وَلَذَّتَهُ، فَهَذَا يَفْرَحُ اللهُ بِهِ وَيُقْبِلُ عَلَيْهِ، فَقَدْ رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «مَا تَوَطَّنَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ المَسَاجِدَ لِلصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ، إِلَّا تَبَشْبَشَ اللَّهُ لَهُ، كَمَا يَتَبَشْبَشُ أَهْلُ الغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ» (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَه وَالحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ)، فَهُوَ مِنْ عُمَّارِ المَسَاجِدِ الَّذِينَ يَكُونُونَ بَيْنَ ذَاكِرٍ وَقَائِمٍ وَسَاجِدٍ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (النور: ٣٦-٣٧).

الحُبُّ فِي اللهِ

وَالحُبُّ فِي اللهِ مِنْ أَقْوَى الأَسْبَابِ الجَالِبَةِ لِظِلِّ رَبِّ الأَرْبَابِ، فَهُوَ أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ، وَدَلِيلُ الصِّدْقِ وَأَمَارَةُ الإِحْسَانِ، فَهَذَانِ رَجُلَانِ جَمَعَهُمَا الحُبُّ فِي ذَاتِ اللهِ، لَمْ تَجْمَعْهُمَا مَصْلَحَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ وَلَا مَنْفَعَةٌ شَخْصِيَّةٌ، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمَا إِلَّا السَّفَرُ أَوِ المَوْتُ؛ عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ» (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ)، وَهَذِهِ - وَاللهِ - هِيَ المَحَبَّةُ الدَّائِمَةُ الخَالِصَةُ لِلْمُتَحَابِّينَ، وَالخُلَّةُ الصَّادِقَةُ الَّتِي تَنْفَعُ فِي الدُّنْيَا وَيَوْمَ الدِّينِ.

مِمَّا يُسْتَجْلَبُ بِهِ ظِلُّ الرَّحْمَنِ

العِفَّةُ عَنِ المَحَارِمِ وَالآثَامِ، وَالخَوْفُ مِنْ ذِي الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ، فَهَذَا رَجُلٌ تَدْعُوهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ سُلْطَةٍ وَجَمَالٍ، وَهِيَ مِنَ الأَسْبَابِ الدَّاعِيَةِ إِلَى ارْتِكَابِ الفَاحِشَةِ، وَلَا سِيَّمَا أَنَّهَا هِيَ الدَّاعِيَةُ إِلَى نَفْسِهَا وَالمُرَغِّبَةُ فِيهَا، لَكِنَّهُ عَفَّ وَقَدَّمَ خَوْفَ اللهِ عَلَى شَهْوَةِ نَفْسِهِ وَهَوَاهُ، فَالصَّبْرُ عَنْهَا مِنْ أَكْمَلِ المَرَاتِبِ وَأَعْظَمِ الطَّاعَاتِ،

الإِمَامُ العَادِلُ وَهُوَ الَّذِي يَتَّبِعُ أَمْرَ اللهِ وَيَحْكُمُ بِشَرْعِهِ وَيَضَعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ بِلَا إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ

وَقَدْ ضَرَبَ نَبِيُّ اللهِ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرْوَعَ الأَمْثِلَةِ فِي العِفَّةِ عَنِ المَحَارِمِ حِينَ دَعَتْهُ امْرَأَةُ العَزِيزِ إِلَى نَفْسِهَا، وَهَيَّأَتِ الأَسْبَابَ، وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ، وَلَكِنَّهُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (يوسف: ٢٣).

رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا

وَمِنْهُمْ: «رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا» إِخْلَاصًا لِلَّهِ، وَابْتِغَاءَ ثَوَابِهِ وَرِضَاهُ، بَعِيدًا عَنِ السُّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ، وَطَلَبًا لِحُسْنِ العَاقِبَةِ وَالجَزَاءِ؛ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ -رضي الله عنه- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ» (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ).

رَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ

وَآخِرُ الأَصْنَافِ السَّبْعَةِ: رَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ؛ خَوْفًا مِنَ اللهِ أَوْ شَوْقًا إِلَى لُقْيَاهُ، حِينَ اسْتَحْضَرَ عَظَمَتَهُ فَمَلَأَتِ الخَشْيَةُ جَنَانَهُ، وَمَلَكَتْ عَظَمَةُ الرَّبِّ وَمَحَبَّتُهُ جَوَارِحَهُ وَأَرْكَانَهُ، وَفِي الحَدِيثِ الثَّابِتِ: «لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ» (أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-).

هَنِيئًا لِمَنْ كَانَ وَاحِدًا مِنْهُمْ بِلَا مِرَاءٍ

تِلْكَ خِصَالٌ سَبْعَةٌ لِأَصْنَافٍ مِنَ النَّاسِ سَبْعَةٍ، هَنِيئًا لِمَنْ كَانَ وَاحِدًا مِنْهُمْ بِلَا مِرَاءٍ، يَوْمَ تُدْنَى الشَّمْسُ فَيُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ وَالنَّاسُ فِي شِدَّةٍ وَكَرْبٍ وَبَلَاءٍ، فَاحْرِصْ يَا عَبْدَ اللهِ عَلَى أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ بِلَا مَعَرَّةٍ، وَمَا عَلَى مَنْ كَانَ مِنْ تِلْكَ الأَصْنَافِ كُلِّهَا مِنْ مَضَرَّةٍ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْهُمْ بِمَنِّكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الأَكْرَمِينَ.

أبرز محاضرات
المخيم الربيعي



المخيم الربيعي لتراث الأحمدي ومبارك الكبير

الشيخ حمد الأمير:

صلة الأرحام من أوجب الحقوق التي فرضها الإسلام

ضرب يوسف عليه السلام أروع الأمثلة في التعامل مع الإخوة الذين جفوه وعادوه

الحديث عن صلة الأرحام له خصوصية ولا سيما في هذا العصر الذي غلبت فيه الأمور المادية على الود والوصال الاجتماعي، وغلبت فيه الأهواء والنفس الأمارة بالسوء على كثير من القيم والمبادئ والتعاليم، التي حث عليها الدين الإسلامي الحنيف، حتى أصبحت صلة الأرحام من الأمور الثانوية، واختفت كثير من العلاقات الأخوية، وتفككت كثير من الأسر بسبب الخلافات العائلية، حتى انسحبت تلك الخلافات على الأبناء والذرية.

لقد ضرب يوسف -عليه السلام- أروع الأمثلة في التعامل مع الإخوة الذين جفوه وعادوه، فهو الذي لقي من أخوته بكثرتهم في مقابله هو وحده وعمرهم في مقابل عمره ما لقي من العداوة والكيد والظلم، فكانوا سببًا في غربته عن الأهل والوطن وشقائه في طفولته البريئة وشبابه، وبعد تعاقب السنون جاءت الفرصة سانحةً بين يديه وهو متمكنٌ في منصبه الكبير على خزائن مصر، أن يأخذ حقه من إخوته الذين أصبحوا في تعبٍ من أمرهم وضنك من العيش، لكن لم يكن يوسف -عليه السلام- ذلك الانتهازي والانتقامي ليقابل السيئةَ بالسيئة، رغم كل ما حدث ورغم كل ما أسلف من تعبٍ وعسر، لكن كان مثالاً رائعًا راقيًا خلده القرآن الكريم، وضرب فيه أحسن القصص ليكون قدوة ودرسًا لمن بعده، فقال لهم: {لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ}. كل هذه الأفعال انتهت بهاتين الكلمتين، وانتهى كل الماضي. بل قال لهم: {وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ}.

تمام عفو يوسف -عليه السلام- عن إخوته

لقد نسي يوسف عليه السلام كل ما حيك ضده وقال: {وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ}، قال العلامة السعدي -رحمه الله-: وهذا من لطفه وحسن خطابه -عليه السلام-: حيث ذكر حاله في السجن، ولم يذكر حاله في الجب، لتمام عفوه عن إخوته، وأنه لا يذكر ذلك الذنب، وأن إتيانكم من البادية من إحسان الله إلي، ثم إن يوسف هو الذي بدأ بالكلام واعتذر وقال: {مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} فلم يقل «نزغ الشيطان إخوتي» بل كأن الذنب والجهل، صدر من الطرفين، فالحمد لله الذي أخزى الشيطان ودحره، وجمعنا بعد تلك الفرقة الشاقة.

واقع أسرنا اليوم

فإذا نظرنا هذه النظرة لهذه الآية في أسرنا اليوم نجد أنه لا يوجد مشكلة تساوي ما حدث ليوسف مع إخوانه، فلابد أن نبحث عن الوئام، ونبحث عما يقرب بعضنا بعضا، ونبحث عما يفتت الخلافات بيننا، ولا نبحث عن الانتقام؛ فالانتقام يجعلك تعيش دائما في حسرة، وتفكر كيف تنتقم؟ والانتقام يجر الانتقام من الطرف الآخر، فما يكون وئام ولا لقاء. ولذلك كان التحلي بالاعتذار من أسباب دفع الانتقام؛ لأن بواسطة الاعتذار لأخيك، ولابن عمك، ولعمك، ولخالك. يتحقق صلة الرحم، والرحم صلتها واجبة كما قال الله -عز وجل-: {وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ}. وقال -عز وجل في النهي عن قطيعة الرحم-: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ}. وحتى إن قطعك أهلك، أو أساؤوا إليك أو تكلموا فيك. فتبقى صلة الرحم واجبة كما يدل عليه حديث أَبِي هُرَيْرَة -رضي الله عنه- أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ

صلة الأرحام والإحسان إلى الأهل والإخوان من علامة الإيمان بالله واليوم الآخر

عَلَى ذَلِكَ» (صحيح مسلم ٢٥٥٨)، بمعنى أن العون يأتي من الله، والله -سبحانه وتعالى- هو الذي يؤيدك؛ فلا تقطع هذا الرحم مهما كانت، فالعون يأتيك من الله، ويرفع شأنك.

ثمرات صلة الرحم

ولصلة الأرحام ثمرات عديدة نذكر منها ما يلي:

غفران الذنوب

غفران الذنوب يدل عليه حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: أتى رسول الله -ﷺ- رجل فقال: يا رسول الله، إني أذنبت ذنبا كبيرا فهل لي من توبة؟ فقال -ﷺ-: أَلَكَ والدان؟ قال: لا، قال: فَلَكَ خالة؟ قال: نعم، قال: فبِرّها إذًا. رواه ابن حبان وصححه الألباني. إذًا بر الوالدين يغفر الله -عز وجل- به الذنوب.

زيادة الرزق

سبب لزيادة الرزق وطول العمر. عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «من سرّه أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره، فليصل رحمه».

سبب لدخول الجنة

فعن أبي أيوب -رضي الله عنه- قال: جاء رجل إلى النبي -ﷺ- فقال: دلّني على عمل أعمله يدنيني من الجنة، ويباعدني من النار. قال: «تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل ذا رحمك». فلما أدبر قال رسول الله -ﷺ-: «إن تمسك بما أُمر به دخل الجنة». رواه البخاري ومسلم.

من أحب الأعمال إلى الله -تعالى

جاء عن رجلٍ من خثعم قال: أتيتُ النبيّ -ﷺ- وهو في نَفَرٍ منْ أصْحابِه، فقلتُ: أنْتَ الذي تزعُم أنّك رسول الله؟ قال: «نعم». قال: قلْتُ: يا رسولَ الله، أيُّ الأعمالِ أحبُّ إلى الله؟ قال: «الإيمانُ بالله». قال: قلتُ: يا رسولَ الله، ثُمّ مَهْ؟ قال: «ثُمّ صِلَةُ الرّحِمِ». قال: قلتُ: يا رسولَ الله، ثُمّ مَهْ؟ قال: «ثمّ الأمرُ بالمعروفِ، والنهيُ عنِ المنكَرِ». قال: قلتُ: يا رسول الله، أيُّ الأعْمالِ أبغَضُ إلى الله؟ قال: «الإشْراكُ بالله». قال: قلتُ: يا رسولَ الله، ثُمّ مَهْ؟ قال: «ثمّ قَطيعَةُ الرّحِمِ». قال: قلتُ: يا رسولَ الله، ثُمّ مَهْ؟ قال: «ثُمّ الأمْرُ بالمنْكَرِ، والنهيُ عنِ المعروفِ». (صحيح الترغيب والترهيب ٢٥٢٢) .

من علامة الإيمان بالله واليوم الآخر

أنها من علامة الإيمان بالله واليوم الآخر. ففي الحديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت» رواه البخاري.

عقوبة قطع الرحم

ولعقوق الأرحام عقوبات في الدنيا والآخرة نذكر منها ما يلي:

تعجيل العقوبة في الدنيا

عن أبي بكرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «ما من ذنب أحرى أن يُعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يُدّخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم» رواه الترمذي وأبو داوود وصححه الألباني. يعني قطيعة الرحم عقوبتها في الدنيا قبل الآخرة، ومُدّخر لها عقاب كذلك في الآخرة.

قاطع الرحم لا يدخل الجنة

عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن النبي -ﷺ- قال: «لا يدخل الجنة قاطع». وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «إن أعْمالَ بني آدَم تُعْرِضُ كلَّ خميسٍ ليلَةَ الجمُعَةِ، فلا يُقْبَلُ عَمَلُ قاطِعِ رَحِمٍ» رواه أحمد وحسنه الألباني في الترغيب والترهيب.

القاطع يقطع الصلة بربه

وهذا أخطر شيء في قطيعة الرحم، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: «إن الله خَلَقَ الخَلْقَ حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت الرحم: بلى يا ربي، قال: فهو لك. قال رسول الله -ﷺ-: اقرأوا إن شئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾» متفق عليه.

لكل رحم حقها من الصلة

والأحاديث في ذلك كثيرة، توصل الرحم بالزيارة، توصل بالهدية، توصل الآن مع الأجهزة الحديثة برسالة تبعثها، وتتحقق هذه الصلة بمكالمة هاتفية لقريب لم أكلمه منذ زمن فتبعث في صدره الانشراح بهذا الاتصال، كذلك من صلة الرحم مشاركته في أفراحه، ومشاركته كذلك في أحزانه، فإذًا وسائل صلة الرحم كثيرة جدا.

من الأرحام الذين نصلهم؟

■ **سئل الشيخ ابن باز -رحمه الله- مَن أولو الأرحام وذوو القربى؟**

فأجاب رحمه الله: الأرحام هم الأقارب من النسب من جهة أمك وأبيك، وهم المعنيون بقوله -تعالى-: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾. وأقربهم الآباء والأمهات والأجداد والأولاد، وأولادهم ما تناسلوا، ثم الأقرب فالأقرب من إخوة وأولادهم، والأعمام والعمات وأولادهم، والأخوال والخالات وأولادهم. وقد صح عن النبي -ﷺ- أنه قال لما سأله سائل: مَن أبر؟ قال: «أمك، قلت: ثم مَن؟ قال: أمك، قلت: ثم مَن؟ قال: أمك، قلت: ثم مَن؟ قال: أباك، ثم الأقرب فالأقرب» رواه الترمذي وأبو داوود وحسنه الألباني.

أثر الأخلاق في بقاء الأمم

د. محمد بن إبراهيم السعيدي

وإنما الأمم الأخلاقُ ما بَقِيَت فإن همُ ذهبت أخلاقُهم ذهبوا

هذا البيت لأحمد شوقي -رحمه الله- لا يُمَثّلُ حكْمَة تسير بها الركبان ويتغنى بها الشيوخ والولدان وحسب، بل هو خلاصة لسُنَّة كونية من سُنَن التعاقب الحضاري على سيادة هذه الأرض، أو كما يُسَمِيه الفلاسفة المعاصرون: تفسير التاريخ، فأحمد شوقي بهذا البيت يلخص التفسير الأخلاقي لبقاء الحضارات وانحسارها، فهو يرى أن الأمة بالمفهوم الأعم لها تبقى ما بقيت أخلاقها، وتذهب حين تذهب هذه الأخلاق، وهو رأي صحيح في فهم التاريخ يصدقه القرآن الكريم في أكثر من آية من كتاب الله -عزّ وجلَ- الذي يُعَبّر عن الالتزام بالأخلاق بتعبيرات أدق وأكثر نفعا للإنسان، ومنها مصطلح التقوى، ويعبّر عن الانحدار الأخلاقي بمصطلح أوسع وهو التكذيب، فيقول -سبحانه-: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف: ٩٦)، فذهاب الأمم هو ما تُعَبِّرُ عنه الآية بالأخذ، وتُعَبِّرُ عنه الآية بعدها بالإصابة ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (الأعراف: ١٠٠).

ذهاب القرون الخالية

وَتُعَبِّر آيات أخر عن الأخلاق بالصلاح والإصلاح، وتعبِّر عن ذهاب الأخلاق بالفساد والإفساد والظلم ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود: ١١٦، ١١٧)، فذهاب القرون الخالية هو بسبب استمرائهم للفساد وعدم نهيهم عنه، وأنهم لم يبق لهم أثر بسبب ذلك الظلم الذي ساقهم إليه التمادي في اتباع سُبُل الإتراف، وأن هلاك القرى لا يمكن أن يكون مع الإصلاح، وهُنا نجد التعبير بالقُرى بدلًا من التعبير بالأمم أو القرون، مع أن سياق الحديث عنهما؛ لأن الأصل في مدلول الأمة أو القرن أوسع من مدلول القرية، مع أن القرية قد تكون أمة، لكن ما يقع في الذهن مباشرة من الدلالة المرتبطة بالأمة أوسع بكثير مما يقع في الذهن مرتبطا بكلمة قرية، ولعل ذلك -والله أعلم-، مراعاة لما يُسميه الأصوليون مفهوم الأولى، فإذا كان الإصلاح يدفع الله به الإهلاك عن أهل القرى والإفساد يُوقِعُهم فيه، فمن باب أولى أن تسري السنةُ نفسُها في الأمة الأعظم في مدلولها من حيث العدد والمكانة.

زوال الأخلاق بالفسوق

وآيات أُخَر تُعَبِّر عن زوال الأخلاق بالفسوق، وتُرتِّب عليه النتيجة نفسها، وهي الإهلاك: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (الإسراء: ١٦)، وهذه الآية تنقلنا مباشرة من الحديث عن السُّنّة الكونية، أو ما يُسميه الفلاسفة المعاصرون: تفسير التاريخ، إلى الحديث عن الأسباب المباشرة التي تكون عادةً وراء نُقْلَة المجتمع بحسب التعبير المعاصر، أو الأمة والقرن والقرية بحسب التعبير القرآني، من مُعْتَنِقة للأخلاق عاملةً بها إلى مُتَخَلِّيةٍ بالأخلاق عنها.

المحافظة على أخلاق الأمة محافظة على بقائها ونجاتها من عقوبة الأخذ

أسباب هذا الانتقال

فهذه الآية تُشير إلى أحد الأسباب في هذا الانتقال، وهو الإتراف المؤدي إلى الإلقاء جانبًا بالأخلاق ومقتضياتها، والمراد بالمُتْرَفين: المُنَعّمون، وذلك لأن فيض النعمة على العبد كثيرًا ما يحمله على التساهل في أمر الله -تعالى- ونهيه، ويُصيبه بشيء من الكبر الحامل على قلة الخشية من الله وضعف الورع عن محرماته، كما قال -عزّ وجلّ-: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ (العلق: ٦، ٧)، كما أن المُنَعّمين هم غالب المتبوعون للناس في أخلاقهم وعوائدهم، فإذا فَسَدُوا أو فَسَقُوا حملوا المجتمعات على ذلك دون أمر منهم، ولكن بالانقياد الطّبعي للناس إلى ما عليه كبراؤهم، وهذا المعنى، أي: تعليق الانحراف بالترف ليس عابرًا في القرآن، بل مؤكد في مواضع عدة، منها الآية المتقدمة في سورة هود: ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (هود: ١١٦)، وقوله -تعالى-: ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ (الأنبياء: ١٢، ١٣)، وقوله -تعالى-: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ (المؤمنون: ٣٣)، فالقرآن يؤكد غير مرة أن الترف سبب أغلبي لانحراف المجتمعات الأخلاقي.

معالجة السلوكَ الاقتصادي

ولذلك تأتي آيات كثيرة في القرآن الكريم تعالج ما يُمكِن أن نُسَمّيه السلوكَ الاقتصادي للعبد المسلم، فالله -تعالى- لا ينهى عن طلب المال، كما لا ينهى عن الغِنَى ولو كان عظيمًا جدًا، فلا توجد آية في كتاب الله -تعالى- ولا حديث نبوي ولا أثر يُحَدّد سقفًا أعلى لما ينبغي أن يتوقف عنده الإنسان في حجم ما يملك من المال، بل يصفه الله -سبحانه- بأنه زينة الحياة الدنيا، كما أن الأبناء زينة لها أيضًا، لكنه يغرس في قلب العبد أنها وإن كانت من الزينة المباحة إلا أن ذكر الله -تعالى- وسائر أعمال الخير خَيْرٌ منها، وكذلك يغرس مفهوم كون هذه الأموال كما أنها زينة فهي فتنة، أي: مُهَيّأة لصرف صاحبها إن لم يحذرها عن طريق الحق، فقال -تعالى-: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (الكهف: ٤٦)، ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (التغابن: ١٥).

هذا هو التّهيئُ المعنوي لما ينبغي أن يكون عليه مفهوم المال في نفس العبد؛ حتى لا يصل للترف المفضي إلى الاستهانة بالأخلاق، ومن ثَمّ هلاك الأمة.

السّنّةُ الكونيّة قد تَتأخر لكنّها لا تَتخلّف لذلك حذّر الله من الاغترار بتأخّر السنة الكونية في الإهلاك بزوال الأخلاق

آليّة دقيقة للتعامل مع المال

وأيضا احتوى القرآن على تحديد آليّة دقيقة للتعامل مع المال، فيجب أن يتولى العبد مسؤوليته العظيمة في الإنفاق على من سوى نفسه، وفي الوقت نفسه لا يتجاوز في إنفاقه حدًّا يوصله إلى فقدان ماله، أو الإساءة لسلوك المجتمع في التعامل مع المال؛ ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٦)، كما أوضحت هذه الآلية صورة بديعةً لا نظير لها في الرسم البلاغي؛ ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ (الإسراء: ٢٩).

المحافظة على أخلاق الأمة

إذًا فالمحافظة على أخلاق الأمة هي محافظة على بقائها ونجاتها من عقوبة الأخذ، لكن وجود أمم قد أضاعت أخلاقها دون أن تصاب بعقوبة الأخذ هذه قد يُحْدِثُ فتنةً لدى النفوس الضعيفة، فتحتج بمثل هذه الأمم على التهوين من خطورة التهاون مع ما يُطْلَقُ عليه زورًا الانفتاح الأخلاقي، لكن الأمر قد حَسَمه القرآن الكريم حين قال -تعالى-: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (آل عمران: ١٧٨)، فالسُّنّةُ الكونيّة قد تتأخر، لكنها لا تَتخلّف؛ لذلك حذّر الله من الاغترار بتأخّر السنة الكونية في الإهلاك بزوال الأخلاق، فقال: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (الأنبياء: ٤٤)، فسنة الله لا تتبدل؛ ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٦٢).

لا تخرجونا من النور إلى الظلمات!

أسامة شحادة

الهداية للنور وترك الظلمات هي غاية إنزال الوحي الرباني على نبينا الخاتم محمد -ﷺ-، قال -تعالى-: ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (إبراهيم:١)، ولما استجاب له العرب خرجوا من ظلمات الشقاق والخلاف وعبادة الأوثان والأحجار ووأد البنات وشرب الخمر والزنا وأكل مال الضعيف والتبعية لقوى الكفر.

وسرعان ما انحسرت عنهم ظلمة الجهل، وعمّهم نور العلم، وانحسرت عنهم ظلمة الضعف والتفتت فأصبحوا قادة الدنيا، وحملوا لها مشعل الهداية والنور، فحرروا البشرية من الظلمة والطواغيت، ومنحوا الناس حرياتهم وحقوقهم، وألغوا نظام الطبقات، ونشروا العدل والعلم، وبلّغوهم رسالة التوحيد التي تحطم الآلهة الزائفة، وتكشف باطلها وترشدهم لحقيقة الوجود، وأنه مِن خلق الله -عز وجل- وحده وأنه وحده المستحق للحب والطاعة والعبادة.

غاية واضحة

ولقد كانت هذه الغاية وهي الخروج من الظلمات إلى النور في غاية الوضوح عند المسلمين الأوائل، ولعل حوار ربعي بن عامر رضي الله عنه مع رستم قائد الفرس نموذج لتمام هذا الوضوح للغاية الربانية من إنزال القرآن الكريم والبعثة المحمدية الخاتمة، فهذا ربعي يجيب رستم عن سبب مجيئهم، فيقول: «الله ابتعثنا لنُخرج من شاء مِن عبادة العباد إلى عبادة الله، ومِن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبِل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبدًا حتى نفضي إلى موعود الله، قالوا: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي».

الغاية من الرسالة المحمدية

لقد كانت الغاية من الرسالة المحمدية في غاية الوضوح عند جيل الصحابة والتابعين ومَن سار على دربهم، وقد تحقق لهم هذا الوضوح في أمرين:

الأول: الوحي الرباني كان في غاية الوضوح

الوحي الرباني كان في غاية الوضوح، قال -تعالى-: ﴿وكذلك أنزلناه قرآنا عربياً﴾ (طه: ١١٣)، ووصفه أيضاً بقوله -تعالى-: ﴿بلسان عربي مبين﴾ (الشعراء: ١٩٥)، وأكد على عربيته بقوله -تعالى-: ﴿قرآنا عربيا غير ذي عوج﴾ (الزمر: ٢٨) أي معانيه مستقيمة كما استقامت ألفاظه، وبسبب هذا الوضوح في لغة القرآن الكريم والسنة النبوية قام الصحابة الكرام وتابعوهم بنشر الإسلام في ربوع الدنيا وتعميرها بنور الوحي، وإخراج البشرية من ضيق الدنيا إلى سعة الإيمان، فأشادوا حضارة باسقة، ظللت أرجاء الدنيا بخيرها وعدلها.

الثاني: القبول والتسليم والانقياد لمراد الوحي

والأمر الثاني هو القبول والتسليم والانقياد لمراد الوحي الرباني في الكتاب والسنة، قال -تعالى-: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب: ٣٦)، وهذا الانقياد والتسليم للوحي سمة واضحة في حياة الصحابة الكرام، وفي انقياد الصحابة -رضوان الله عليهم- وهم في الصلاة لأمر الله -عز وجل- بتحويل القبلة من بيت المقدس لمكة المكرمة، وهو مثال ساطع لهذا التسليم للوحي؛ مما حقق لهم النصر والقوة والانتشار.



الهداية للنور وترك الظلمات هي غاية إنزال الوحي الرباني على نبينا الخاتم محمد ﷺ

هناك محاولات متكررة لصرف المسلمين عن الالتزام بأحكام القرآن والسنة وآدابهما التي عاشوا عليها قرونا طويلة

أهمية الالتزام بالأمر الشرعي

وتبيّن للصحابة ومَن بعدهم أهمية الالتزام بالأمر الشرعي وخطورة مخالفته فيما جرى يوم أُحد، حين خالف الرماة الأمر النبوي بعدم ترك مواقعهم مهما حدث من نصر أو هزيمة، فلما خالفوا ذلك وقعت المصيبة بالتفاف المشركين على جيش المسلمين.

بهذه المنهجية من وضوح الفهم عن الوحي الرباني النازل بلغة عربية واضحة والتسليم التام لله -عز وجل- ورسوله، حقق المسلمون التقدم والازدهار، ونشر السلم والإسلام، وبث العلم والإيمان، ولا يزال الخير الكبير الموجود عند المسلمين هو نتاج فهم الوحي الرباني في القرآن والسنة وتطبيقه والدعوة إليه.

القوة الإيمانية والأخلاقية

فبرغم الضعف المادي والاقتصادي والعسكري لقطاعات واسعة من المسلمين، إلا أن قوتهم الإيمانية والأخلاقية والاجتماعية تفوق كثيراً قوة أعدائهم، فالترابط الاجتماعي بين الأسرة الكبيرة يظل قويا عند المسلمين، برغم الفقر والحاجة، بينما يُلقى الآباء والأمهات في الطرقات أو دور العجزة أو الوحدة القاتلة في البلاد المتقدمة!

والصبر والثبات والرضا والقناعة والتكافل والتراحم ورعاية الأيتام والأرامل برغم الضغوطات والمحن سمة المسلمين حتى في الملاجئ والمنافي، بينما الانتحار والاكتئاب يستفحل في غير المسلمين!

استهداف أصول الدين

ولما كان عادة أعداء الأمة محاربتها في ميادين متعددة، وتسعى لإضعاف قوتها الدينية أولاً ليسهل عليهم منازلتها عسكرياً ومادياً ثانياً، فقد سلطوا سهامهم على أصول الدين ولاسيما الوحي الرباني، إما بمحاولة إنكاره واجتثاثه أو التلاعب بمعانيه وتوجيهاته، ولذلك تتصاعد اليوم الدعوات المغرضة -برغم فشلها وإخفاقها دوماً- للطعن في ثبوت الوحي الرباني.

والأصل الذي تقوم عليه محاولاتهم المتناقضة والمتعارضة لتطويع الإسلام لأهوائهم وأباطيلهم هو أن الوحي الإلهي المتمثل في القرآن والسنة غير واضح! ولم يفهم! أو أن معانيه تبدلت وتغيرت في عصرنا! أو أنه لا معنى ثابت له بل للجميع حق تفسيره بما يشاؤون! وهذا اتهام صريح للقرآن الكريم بالكذب والخداع؛ حيث وصف نفسه بالوضوح والبيان، وهذا اتهام لأجيال الأمة بالغباء والجهل، وطعن في إنجازات الأمة عبر التاريخ.

إرجاع المسلمين إلى الظلمات

إن المحاولات العلمانية المحموجة والمتكررة والمتناقضة مع بعضها بعضا لا هدف لها إلا إرجاع المسلمين إلى الظلمات، فهم عبر تأويلاتهم الباطلة يهدمون أصول الإسلام، فلا يقرون أن الله -عز وجل- هو الخالق، بل يؤمنون بالصدفة والانفجار العظيم بوصفه سبباً لوجود الكون! وهم ينكرون اليوم الآخر والحساب والثواب والعقاب، ووجود غاية للكون ووجود هدف للإنسان بطاعة الرحمن، وهم يرون النبوة نوعا من الخيال أو الإبداع أو الدجل، ولذلك يركزون على نفي وجود حق مطلق يتمثل في القرآن الكريم (كلام رب العالمين)، ويجعلونه نصاً كسائر النصوص البشرية، ويساوون بين عبادة الله -عز وجل- وعبادة أي إله مزيف بدعوى تعدد الحقيقة ونسبيتها.

الانقياد والتسليم للوحي سمة مميزة واضحة في حياة الصحابة الكرام

استهداف الروابط الاجتماعية

ولم تقتصر جهود المحاولات العلمانية على ضرب أصول الإسلام، بل سلطوا سهامهم أيضاً على روابطه الاجتماعية؛ لتنحل عراها وتتفكك أوصالها، فهم يحاولون هدم الأحكام الشرعية في قضايا الأحوال الشخصية الباقية من تحكيم الشريعة في حياة المسلمين حاليا، وما نشاهده اليوم من تطاول علماني على أحكام المواريث، وتحريم زواج غير المسلم بالمسلمة، ورفع سن الزواج وغيرها من متطلبات الرؤية العلمانية للعلاقات الاجتماعية التي تصدت لها كل المرجعيات الإسلامية من العلماء والمؤسسات، كالأزهر ورابطة العالم الإسلامي وروابط العلماء؛ لأنها في حقيقة الأمر إخراج للمسلمين من النور إلى الظلمات.

نتائج الرؤية العلمانية

فها هي ذي نتائج الرؤية العلمانية تتكشف في بلاد الغرب ومن قلدها، فلم يعد للأسرة احترام بعد أن أصبح الشذوذ هو الملاذ للفرار من التسلط الذكوري -بزعم النسويات-، فها هي ذي الدول الأفريقية والآسيوية التي جارت الإباحية الغربية أرهقتها الأمراض الجنسية، ومنعت عنها الأدوية فتضاعف شقاؤها، ثم جاءت المواثيق الدولية لتشرعن انتشار الفواحش وتحميها بالقوانين، وتعمل على محاربة الإدانة المجتمعية لسلوك الفحش والشذوذ بعنوان تجريم الوصمة الاجتماعية، لكنها تتنصل منهم حين يقعون فريسة للأمراض الفتاكة الناتجة عن هذه العلاقات غير الشرعية.

محاولات عديدة ومتكررة

من هنا فلابد لأمتنا أن تدرك أن هناك محاولات عديدة ومتكررة تسعى لإخراجها من النور إلى الظلمات من خلال الطعن في المنهج الشرعي لفهم القرآن الكريم والسنة النبوية الذي عرفته الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل وأنتج للبشرية الحضارة الإسلامية الباسقة التي عاشوا عليها قرونا طويلة.

مشاهد وعبر من قصة أصحاب الكهف

(٥)

م. أحمد الشحات
باحث وكاتب مصري

ما زال حديثنا موصولاً عن قصة شباب الكهف، هؤلاء الفتية الذين لم يكن بينهم سابق معرفة أو صداقة، ولكنّ الرابطة التي جمعتهم هي رابطة الإيمان والعقيدة، وبغض الشرك وأهله، وقد بدأنا في الحلقة الماضية عن المشهد الثاني من تلك القصة الذي كان بعنوان: (في جوف الكهف)، وذكرنا بعض الرسائل في هذا المشهد وكان منها العزلة الاضطرارية، والفرار الواجب، واليوم نستكمل تلك الرسائل.

(٣) الرحمة الواسعة

قال الله -تعالى-: {يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا (١٦) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ}، ما أجمل شعور الإنسان وهو يحسن الظن بربه -عز وجل-، ويشعر بعظيم مننه وواسع فضله وكرمه! فرغم وجود الفتية في جوف كهف ضيق، إلا أنهم شعروا فيه بسعة وسكينة وراحة، وتأمل في كلمة: «يَنْشُرْ»؛ لتوحي لك بالاتساع والرحابة، حتى يكاد يُخيّل إلى السامع أنهم يعيشون في قصر منيف، وفناء واسع، والكهف ضيق مظلم، فيه شدةٌ، ومع ذلك رجَوا فيه الرحمة والرفق من الله -سبحانه وتعالى-؛ ذلك أنّهم لما تركوا حياتهم المُنعّمة لله، وعظّموا رجاءهم بأن الله يعوضهم خيرًا مما تركوه لأجله، أعطاهم الله خيرًا منه، ونشر لهم من رحمته، ووسّع الله -سبحانه وتعالى- عليهم، وكتب لهم رحمته في الدنيا والآخرة.

حال اليقين والثقة بالله

هؤلاء هم الفتية الذين ابتهلوا إلى الله قبل ذلك في دعائهم: {رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا}، والآن انتقلوا من حال الدعاء والطلب إلى حال اليقين والثقة بالله أنه سيفعل ذلك، ولا شك أن الله نشر لهم من رحمته، وهيأ لهم من أمرهم مرفقًا، فحفظ أديانهم وأبدانهم، وجعلهم من آياته على خلقه، ونشر لهم من الثناء الحسن، ويسّر لهم كل سبب، حتى الكهف الذي ناموا فيه، كان على غاية ما يُمكن من الرعاية والتعايش؛ لذلك قال الله -تعالى-: {وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ}.

أي: حفظهم الله من الشمس، فإذا طلعت تميل عنهم يمينًا، وعند غروبها تميل عنهم شمالًا، فلا ينالهم حرها فتفسد أبدانهم بها، وفي الوقت نفسه هم في مكان متسع من الكهف، وذلك ليطرقهم الهواء والنسيم، ويزول عنهم التأذي بالمكان الضيق، ولا سيما مع طول المكث، وذلك من آيات الله الدالة على قدرته ورحمته بهم.

(٤) قانون الهداية

قال الله -تعالى-: {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا}، فلا سبيل إلى نيل الهداية إلا من الله -عز وجل-، فهو الهادي المرشد الذي يتولى العبد ويتولى شأنه بالإصلاح، ويرشده إلى الهداية وإلى أسباب التوفيق والخير في دنياه وأخراه، فمَن أضله الله فلن تجد له وليًّا مرشدًا. وهذا نظير قول الله -عز وجل- في سورة الإسراء: {وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ} (الإسراء:٩٧)، وهذه الآية تمثّل قانونًا من قوانين الله في الكون؛ فالهداية من الله -عز وجل-، وقد جعل الله لها أسبابًا خاطب بها العباد، فمَن سلك سُبُل الهداية نال جزاء ذلك رحمة وتوفيقًا وإسعادًا، ومَن هجر طُرُق الهداية وسَلَك سبل الغواية والفساد، فقد خسر هذه الولاية وحُرم هذه الرعاية، وصار في عداد الضالّين التائهين الذين تَسَلّط عليهم الشيطان فأبعدهم عن طريق الله، وطردهم من كنفه وتوفيقه.

الشق الأول من هذا القانون

والشق الأول من هذا القانون يتمثل في قوله -تعالى-: {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ}، فلا تتعال على غيرك بما مَنَّ الله به عليك، ولا تغتر أيها المهتدي بشيء من الطاعات وفقك الله إياه، وتمثّل قول الصحابة في غزوة الخندق وهم ينشدون على لسان عبد الله بن رواحه -رضي الله عنه-:

اللّهمّ لولا أنتَ ما اهتدَيْنا
ولا تَصدّقْنا ولا صَلّيْنا
فأَنزِلَنْ سَكينةً علَيْنا
وثبّتِ الأقدامَ إنْ لاقَيْنا

الشق الثاني من هذا القانون

أما الشق الثاني من هذا القانون فيتمثل في قوله



التغيير بيد الله والهداية من عند الله والله وحده هو مالك القلوب وبيده الأمر كله

-تعالى-: «وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا»، وهذا أيضًا من مواطن شكر النعمة وشهود فضل الله عليك، فالهداية ليست ذكاءً منك ولا إمكانيات ذاتية لك، فكثير من الخلق أكثر منك ذكاء، وأوسع منك عقلًا ولم يُوفقوا للهداية، قال -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الأحقاف:٢٦).

(٥) العناية الربانية

قال الله -تعالى-: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾، الله -عز وجل- يحفظ أولياءه بجنود من عنده -عز وجل-، كما قال -تعالى-: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (يس:٩)، وقال -تعالى- مخاطبا نبيه -ﷺ-: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال:٣٠)، وكما حوّل العصا لموسى -عليه السلام- إلى ثعبان التقم ما فعله سحرة فرعون فقال -تعالى-: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (الأعراف:١١٧)، وقال -تعالى- عن إبراهيم -عليه السلام-: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء:٦٩)، فقوانين الكون الطبيعية يعطِّلها الله -عز وجل- إذا شاء، كرامة لعباده المؤمنين.

حفظ الله لهؤلاء الفتية

وفي هذه القصة نجد: أن الله حفظ هؤلاء الفتية بأن جعل الشمس تدخل عليهم عند الشروق وعند الغروب، فتضيء لهم الكهف دون أن تحرق أجسادهم، ثم إنه قلّب أجسامهم يمنة ويسرة حتى لا تأكلها الأرض، وجعل الكلب على هيئته المعتادة في التهيؤ والتحفز حتى لا يقترب أحدٌ من الكهف، ومع كل هذا جعل هيئتهم مرعبّة لمن يراهم، فجعل أعينهم مفتوحةً شاخصة البصر كأنهم ينظرون بحدة، والحقيقة أنهم نائمون!

خلاصة الأمر: أن الله سخّر الكون لخدمتهم، وهيّأ لهم من الظروف ما جعله سببًا في حفظهم ونجاتهم.

درس بليغ

ورغم أن الله -عز وجل- قادرٌ على تحقيق هذه النتائج بلا أسباب، إلا أنه جعل لكل شيء سببًا، فجعل مَيَلان أشعة الشمس سببًا في حفظ أبدانهم من الاحتراق، وجعل تقليب أجسامهم سببًا في حفظها من التآكل، وجعل الكلب سببًا في الحراسة، وجعل في شخوص أبصارهم سببًا في وقوع الرعب لمن ينظر إليهم، وهذا درس بليغ لكل مَن يقرأ هذه القصة، فما على العبد إلا أن يأخذ بالأسباب المتاحة، والله -عز وجل- يتولى أمر النتائج.

قدرة الله -عز وجل

وقد كتب الله على هؤلاء الفتية المؤمنين هذه النومة رحمةً بهم، وإنجاءً لهم من القوم الظالمين الكافرين، وحكمة بالغة تدل الناس على البعث والنشور، وإثبات قدرة الله -سبحانه وتعالى- على إحياء الموتى بعد موتهم يوم القيامة، وكذلك ليثبت -سبحانه وتعالى- للناس وليبيّن لهم مآل المتقين، وحفظه -سبحانه وتعالى- لهم من حيث يشعرون، ومن حيث لا يشعرون.

إثبات كرامات الأولياء

وهذه القصة تدل على إثبات كرامات الأولياء بأنواع القدرة والتأثير، فإن الله -سبحانه وتعالى- أبقاهم هذه المدة الطويلة من غير أن تبلى أجسادهم أو تفسد، وهذا من أدلة إثبات كرامات الأولياء، والكرامة هي: ما يُكرم الله به عبده المؤمن المتّبع لشرعه -سبحانه وتعالى- من أنواع خوارق العادات أو من غيرها، ولا يلزم أن يكون إكرامُه من خوارق العادات، بل أعظم ما يكرم به العبد: أن يُكرَم بالتوفيق إلى طاعة الله -عز وجل-، وأن يلهم رشده، وأن يكشف له عن سبيل الحق فيلتزمه.

والله -سبحانه وتعالى- قد يجمع لعبده المؤمن بين أنواع الكرامات المختلفة من أنواع العلوم، ومن أنواع القدرة، وأعظم ذلك: أن يكون موفقًا بقوة من الله -سبحانه وتعالى- إلى طاعته، وهو معنى الحديث الشريف: «كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا»، وفي رواية أخرى: «فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي»، فالله -عز وجل- يعينه بقوة من عنده -سبحانه وتعالى-، وتكون هذه الجوارح وهذه القوة مصروفة في مرضاته -سبحانه وتعالى.

فوائد من القصة

- فتية الكهف جعل الله من قصتهم عبرة للأجيال بعدهم في أن التغيير بيد الله والهداية من عند الله، فالدعاة إلى الله ينالون من خلال الدعوة شرف اللقب وشرف المهمة، ولكن الله وحده هو مالك القلوب، وبيده الأمر كله.
- مفارقة الأهل والأوطان، والانتقال إلى العيش في كهف في جوف الصحراء ليس بالأمر الهين؛ بل يحتاج إلى عزيمة قوية، وتضحية كبيرة، وثبات وتمسك بالعقيدة، وهذا ما وفّق الله فتية الكهف إليه.
- من جميل لطف الله ورحمته بفتية الكهف: أنه سلّط عليهم النوم، فلم تذكر لنا الآيات معاناتهم في الصحراء حيث لا طعام ولا شراب، ولا أمن، ولكن القرآن تجول بنا داخل الكهف ليدلل على علامات حفظ الله للفتية ورعايته لهم في أثناء نومهم، وكأن الله سخر الكون لخدمتهم وحمايتهم.
- نتعلم من فتية الكهف منهجية الإيواء إلى الكهف وقت اشتداد الفتن، فلم يكن الفرار في هذا الوقت نوعًا من الجبن أو الضعف، ولكنه كان من أجل الحفاظ على الدعوة الوحيدة من أن تُستأصل في مهدها.
- فرار فتية الكهف يعلمنا: أنه ليس هناك في الشرع شيء يُسمّى مواجهة الرصاص أو القوة الغاشمة بصدور عارية! فالشريعة لم تشرع للناس أن يموتوا من أجل الموت فقط، بل إن دماء المؤمنين غالية، ولا يجيز الشرع لأحدٍ أن يريقها بلا ثمن.

الوقف في حياة الآل والأصحاب رضوان الله عليهم

عيسى القدومي

هذه سلسلة مقالات نسلط فيها الضوء على أوقاف آل بيت النبي -صلى الله عليه وسلم- وصحابته الكرام، وعرض أنواع الأوقاف ومجالاتها، وآثارها في الدين والمجتمع، مع ذكر جملةَ من المقاصد الشرعية والفوائد الفقهية في أوقاف النبي -صلى الله عليه وسلم- وأوقاف آله وصحبه -رضي الله عنهم-، جمعنا فيها ما رُوي من الأحاديث والآثار الواردة في هذا الباب، والدالة على حرص الآل والصحب الكرام -رضي الله عنهم- على الامتثال التامّ لتوجيه النبي -صلى الله عليه وسلم- في بذل المال واحتباس الأصول، وقفًا تنتفع به الأمة الإسلامية، وتنال به عظيم الأجر والثواب.

أوقاف رجال آل بيت النبيّ -صلى الله عليه وسلم-

أوّلاً: وقف علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-

لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- أوقافٌ كثيرةٌ سردَها المؤرّخون وأصحابُ السِّيَر والتّواريخ وكتب البلدان، كما ذكروا أخباراً كثيرةً عن مآلاتها ووُلاتِها ومصارفها وما تعلّق بها من بعده من الحقوق والخُصومات والضياع والاسترجاع، وهي أخبارٌ تفيد بمجموعها القَطْعَ بأصول هذه الأوقاف، والتّحقُّق من صحّتها، وقد ذكر الإمام الحُمَيْدي (ت ٢١٩هـ) أنّه شَهِدَ في وقته اشتهارَ (يَنْبُع) بكونها وقفًا لعليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه-.

أخرج البيهقي -بسنده- إلى الحُميديّ، قال: «وتصدّق عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- بأرضه بيَنْبُعَ، فهي إلى اليوم».

وقد آلَت لعليّ -رضي الله عنه- أملاكٌ كثيرةٌ بينبُع، بعضُها، بل جزؤُها الأهمّ، أقطعَه إيّاها أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب -رضي الله عنه-، ثمّ ضمّ إليها أشياء أخرى بالشراء والاستصلاح وإحياء المَوَات، فوقَفَ كثيراً منها على وجوه مختلفة وبشروط متنوّعة.

إكرام عمر -رضي الله عنه- آل بيت النبي -صلى الله عليه وسلم-

عن جعفر بن محمّد عن أبيه: «أنّ عليّ بن أبي طالب قطع له عمر بن الخطّاب -رضي الله عنهما- يَنْبُعَ، ثمّ اشترى عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- إلى قطيعة عمر -رضي الله عنه- أشياء، فحفر فيها عينًا، فبينا هم يعملون فيها إذ تفجّر عليهم مثل عنق الجزور من الماء، فأتى عليٌّ وبُشّر بذلك، قال: بشّر الوارث. ثمّ تصدّق بها على الفقراء والمساكين وفي سبيل اللّه وابن السّبيل، القريب والبعيد، وفي السّلم وفي الحرب، ليوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه، ليصرف اللّه تعالى بها وجهي عن النّار ويصرف النّار عن وجهي»، وفي هذه الرواية الثابتة بشاهدَيِّ التاريخ والحسّ، دليلٌ على إكرام عمر -رضي الله عنه- آلَ بيت النبي -صلى الله عليه وسلم-، فإكرامُه عليًّا -وهو أهلٌ لكلِّ كرامة- بهذا الإقطاع يدلُّ على ذلك بوضوح.

وقد جاء مزيدٌ من التّفصيل لهذه الصدقة بيَنْبُعَ، وما ضُمّ إليها، فقد أخرجَ عبد الرزّاق من طريق أيّوب السختياني، أنّه أخذَ كتابَ صدقة عليّ -رضي الله عنه- من عمرو بن دينار، وممّا ذُكِرَ فيه موقوفًا مع يَنْبُعَ: ما يملكُه عليٌّ -رضي الله عنه- بـ (وادي القرى)، و(الأُذَيْبَة)، و(رعْد)، ووقَفَ مع هذه الأراضي ما لَه فيها من مماليك، واستثنى بعضَهُم ممّن كان قد أعتَقَ قبْلَ ذلك من العاملين فيها، قال أبو محمد ابن حزم: «إيقافه ينبع، وغيرها: أشهرُ من الشّمس»، وهذا يبرهنُ -كما أشرنا سابقاً- على أنّ هذه الأوقافَ مستغنيةٌ في أصلها عن الحاجةِ إلى صحّة السّند على رسم





تصدّق عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بأرضِه بيَنْبُع، فهي إلى اليوم وقف

لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أوقافٌ كثيرةٌ سردَها المؤرّخون وأصحابُ السِّيَر والتّواريخ وكتب البلدان

المحدّثين، فالشّهرة تغني عن ذلك.

الأماكن التفصيلية في أوقاف علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-

ومن الأماكن التي ذُكرَت تفصيلاً في أوقاف عليّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بيَنْبُعَ وما حولَها:

١-البُغَيْبِغَة، وعين أبي نيْزَر، وقَفَهُمَا لسنتين من خلافته، على فقراء المدينة وابن السبيل وذوي الحاجة من ذوي القربى، وشَرَطَ أنّ الحسن أو الحسين إن احتاجا، فلهما أن يبيعا.

٢-عين نولا، وهي التي يُقال إنّ عليًّا -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَمِلَ فيها بيده.

٣-عين الحدث، وعين البحير، وعين العصيبة، وكلّها بيَنْبُع، ذكرها ابنُ شُبّة. وبعض المؤرّخين يقول بالجمع: البُغَيْبِغَات، وهي عيون ماء كثيرة، منها: خيف الأَراك، وخيف ليلى، وخيف بسطاس.

وممّا ذُكرَ تفصيلاً في أوقاف عليّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بوادي القرى ومدينة العلا: عينَ ناقة، وعين حسن، وعين سكر، وعين موات.

وممّا ذُكر تفصيلاً بخيبر وما حولها: له بِحَرّة الرّجلاء قُرْبَ خيبر: وادي الأحمر، ووادي البيضاء، وخمسة آبار أسماؤُها: (ذات كَمّاتٍ، وذوات العُشَرَاءِ، وقُعَيْنٌ، ومُعَيْدٌ، ورَعْوَان).

وله بـ(فَدَك): وادي ترعة، ووادي الأسحن، والقُصيبة، وهو مالٌ بناحية فدك.

قال ابن شبّة عن القُصيبة: «كان عبد الله بن حسن بن حسن عامل عليه بني عمير مولى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، على أنّه إذا بلغ ثمرُه ثلاثين صاعًا بالصّاع الأوّل فالصّدقة على الثلث، فإذا انقرضَ بنو عمير فمرجعه إلى الصدقة، فذلك اليوم على هذه الحال بأيدي وُلاة الصدقة».

وممّا ذُكر تفصيلاً بالمدينة وما حولَها: (الفقيرين، بالعالية، وبئر الملك، بقناة، والأَذْنَبَة في إضَم، ودار عليّ، قرب بقيع الغرقد، والفقير، موضعٌ بالمدينة، وبئر قيس، والشجرة).

وصية علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بالاهتمام بوقفه

وأمّا وصيّتُه بنظارتها وولايتها، فقال فيها -كما عند عبد الرزّاق-: «ثمّ يقوم على ذلك بنو عليّ بأمانة وإصلاح، كإصلاحهم أموالَهم، يُزْرَعُ ويُصْلَحُ كإصلاحهم أموالَهم، ولا يُباع من أولادِ عليّ من هذه القُرى الأربع وَدِيّةٌ واحدةٌ، حتى يَسُدّ أرضَها غراسُها، قائمةً عمارتُها للمؤمنين أوّلهم وآخرِهم، فمن وَلِيَهَا من النّاسِ فأُذَكّرُ اللهَ إلّا جَهِدَ ونصحَ وحفظ أمانتَه».

وقد تولّى أمرَها -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في حياته. قال الشافعيّ رحمه الله: «ولم يَزَلْ عليٌّ بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يَلِي صدقتَه بيَنْبُعَ حتى لقي الله -عز وجل-، ولم تَزَلْ فاطمة -رضي الله عنها- تَلِي صدقَتَها حتى لقيت اللهَ -تبارك وتعالى-، أخبَرَنا بذلك أهلُ العلم من ولد فاطمة وعليّ وعمر ومواليهم»، ثمّ ولّاها من بعده أبناءَه الحسن والحسين كما سبق آنفًا، وقد رصد المؤرّخون توارُثَ ذرّيتهم ولايتها ونظارتَها بعد ذلك.

ثانياً: وقف العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله -رضي الله عنهما

قال ابن شبة: «قال أبو غسان: تصدق العباس بن عبد المطلب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بحل له كان بيَنْبُعَ على عين يقال لها: عين جساس على شراب زمزم، فذلك الحق يقال له: السقاية؛ لأنه تصدق به على زمزم، وهو الثمن من تلك العين، وهو اليوم بيد الخليفة يوكل به»، ثم قال: «وتصدق عبد الله بن العباس بن عبد المطلب -رضي الله عنهما- بمال بالصهوة، وهو موضع بين معن وبير حوزة على ليلة من المدينة، وتلك الصدقة بيد الخليفة يوكل بها».

الفطرة مشترك إنساني لنساء العالم

إعداد: القسم العلمي بالفرقان

أشرقت شمس القرن الحادي والعشرين، والبشرية يحدوها الأمل في شيء من السكينة والخلود إلى الراحة القلبية، بعد عصور زعم الإنسان فيها أنه مقياس لكل شيء، فإذا به يفقد البوصلة، ويغرق في تلمس أعمى للطريق، سافرًا مسعاه على طريق الحداثة وما بعدها، إلى تبديد إمكانية معرفة نفسه، أو تصحيح علاقته بربه، أو البحث عن جامع مشترك، لا زماني ولا مكاني، يجد الإنسان فيه ذاته، أيّا كان موقعه، أو لونه، أو جنسه، أو دينه.

شرد الإنسان بعيدًا، وتنازعته أهواؤه بحثًا عن هذا الجامع رغم وجوده، ولو خُلي بين الإنسان وبينه لاهتدى إليه دون وساطة، إنه الجامع المشترك المثبت في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وصدق الله العظيم في توصيفه لشرود الإنسان وجهله ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، قال -تعالى-: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، كان من الممكن أن يرد التعبير بالإنسان في الآية الكريمة بدلاً من الناس، حينها سيكون هناك تساؤل عن المقصود بالإنسان، أما التعبير بلفظ الناس يدل صراحة على أن الإسلام قد أنزله الله -تعالى- مطابقًا لفطرة الإنسان، ذكراً كان أو أنثى، فرداً، أو جماعة، قبائل وشعوبا، وقد خص الوجه بالذكر؛ لأنه جامع حواس الإنسان، ولنتعرف على الفطرة كمفهوم أولاً، ثم نتناول كيفية توظيفه كجامع للعالمين.

أولاً: ما المقصود بالفطرة؟

ورد مصطلح الفطرة في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله -تعالى- في سورة الروم: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾، أما من حيث الاشتقاق اللغوي فقد وردت كلمات مثل: (فطر، فاطر، انفطر، منفطر، فطور)، وقد اختلف العلماء في المراد بالفطرة الواردة في الآية القرآنية:

الحياد

عرض القرطبي في تعريف مفهوم الفطرة أكثر من رأي؛ ليرجح في النهاية أحدها، وأبرز هذه الآراء رأي ابن عطية في تفسير الفطرة بأنه: «الخلقة والهيئة التي في نفس الطفل، التي هي معدّة ومهيّأة لأن يميّز بها مصنوعات الله -تعالى-، فيستدل بها على ربّه، ويعرف شرائعه، ويؤمن به، فكأنه -تعالى- قال: أقم وجهك للدّين الذي هو الحنيف، وهو فطرة الله الذي على الإعداد له فطر البشر، لكن تعرضهم العوارض. ومنه قول النبيّ -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الصحيح: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ»، فذكر الأبوين إنما هو مثال للعوارض التي هي كثيرة، ويرى القرطبي أن الفطرة محايدة، «إنما المولود على السلامة في الأغلب خلقة وطبعاً وبنية ليس معها إيمان ولا كفر ولا إنكار ولا معرفة، ثم يعتقد الكفر والإيمان بعد البلوغ إذا ميز».

بصيرة أخلاقية

جعلها ابن القيم واحدة من الركائز التي يؤدي بها الإنسان مهمة الاستخلاف مع العقل والوحي «عند تفسيره لآية النور «نور على نور» بأن الفطرة هي: «النور الإلهي الذي أودعه الله -تعالى- في الإنسان؛ ليعرف به الخير والشر، ويميز به بين النافع والضار»، أي: أن الله -تعالى- غرس في الإنسان هذه البصيرة الأخلاقية، وجعلها غريزة تساعد على جلب ما ينفع، ودفع ما يضره، يستطيع بها أن يميز بين الخير والشر، والحسن والقبيح، ويصدر أحكاماً تقوم سلوكه، وتحدد اتجاهه؛ ليسترشد بها في بناء نفسه، ويربطه بمجتمعه، وتنأى به عن الانحراف.

القلب السليم

استدل الكثيرون على خيرية الفطرة بقوله -صلى الله عليه وسلم-: «كل مولود يولد على الفطرة»، فليس معنى هذا أن يولد الإنسان مسلماً، وإنما تكون الخيرية فيه أن يولد بالاستعداد للميل إلى الحق، وهذا الاستعداد يجعله يختار الحق حين تترك له حرية الاختيار، على ألا يلحق هذا الاستعداد تشويه.

قلب سليم في أصل الخلقة

ففطرة الله هي ما أودع الله -سبحانه وتعالى- في الإنسان من قوى عاقلة، وقلب سليم في أصل الخلقة، تقبل الطيب، وتنفر من الخبيث، وهذه الفطرة تعرض لها عوارض كثيرة تشوه معالمها، أو تفسد طبيعتها، شأنها في ذلك شأن حواس الإنسان من سمع وبصر وذوق ولمس، وكما أنه لما يعرض للحواس من آفات دواء تداوى به، كذلك جعل الله -سبحانه- للفطرة ما تداوى به، وذلك

على المرأة استنقاذ فطرتها من تأثير البيئة المعاصرة لتعود بها إلى حقيقة وجودها ومعدنها الأول



الفطرة واحدة من الركائز التي يؤدي بها الإنسان مهمة الاستخلاف مع العقل والوحي

بما يحمله رسل الله من هدى، فلا تبدلوا خلق الله -وهو الفطرة- بما تدخلون عليه من أهواء، بل عليكم حراسة هذه النعمة، وعرضها على هدى الله، إذا طاف بها طائف من الضلال.

ما جبل عليه الإنسان

وقد عرفها بعضهم بتعريف قريب من هذا، بأنها هي: «ما جبل عليه الإنسان من الأشياء الظاهرة والباطنة في أصل الخلق التي تتطلبها إنسانيته وبشريته، وكل خروج أو إخلال بها هو خروج على إنسانيته، وإخلاف بها، وكل محافظة عليها هو محافظة على إنسانيته وبشريته»، ومثال ذلك أن الله -تعالى- فطر الإنسان وجبله على الطيبات كجزء من تكريمه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾، فإذا بالإنسان يخترق هذا التكريم، ويخرم هذه الفطرة بأكله من الخبائث.

ثانيا: كيف نستفيد من المدخل الفطري كمشترك إنساني

تتقاطع الفطرة مع مفهوم الإنسانية والبشرية الأوسع، فهي قاسم مشترك لدى كل البشر، وبدلاً من النسوية العالمية وصيحات يا نساء العالم اتحدوا، وغيرها من الدعوات التفكيكية (يا عمال العالم اتحدوا) وهلم جرا، فإن الفطرة كسائر المفاهيم في النسق الإسلامي التي تبحث عن الجامع وليس عن الاختلاف أو الصراع، فمفهوم الفطرة: مفهوم يجمع البشرية كلها بأبيضها وأسودها وأصفرها، عربياً كان أو أعجمياً، أياً كان لسانه، كما أنه مفهوم جامع للذكر والأنثى، وكذلك مفهوم يجمع نساء العالمين.

مفهوم يجمع البشرية كلها

مفهوم يجمع البشرية كلها، ويميزها عن سائر الكائنات التي خلقها الله ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، وعلى الجميع إحياء الفطرة السوية لتعلو فوق النزعات الإنسانية، وتعيد للنفس البشرية -أيا كانت- سلامها وأنسها مرة أخرى، وعدم التمييز بسبب عنصر، أو جنس، أو دين، «فكافة الخصائص والملكات المُشكلة لإنسانية الإنسان موجودة لدى البشر كافة بالفطرة التي فطر الله الناس عليها، ولا موضع في الإسلام للتمييز، بدعوى أن تلك الخصائص والملكات لم تكن متوفرة لديه، أو فقدت بسبب خطيئة، فالمبادئ الأخلاقية التكوينية للإنسانية في المنظور الإسلامي مسلّم بها لأي إنسان، حتى لو كان منتميًا لدين غير الدين أو إلى أي عصر آخر».

الفطرة خيرة بالأساس

إقرار أن الفطرة خيرة بالأساس، ويطلقون عليها في الغرب مسمى (الطبيعة الإنسانية)، وقد دل على صحة هذا المعنى بأن الفطرة خيرة بالأساس قوله - ﷺ -: «كما تنتج البهيمة هل تحسون فيها من جدعاء»، وفي هذا تمثيل رائع، حيث شبه النبي - ﷺ - المولود الذي يولد على صفاء الفطرة بالبهيمة التي تلد ولدها كاملة الخلقة، والأعضاء، جميل الشكل، والصورة، سليماً من الآفات، فلو ترك على أصل تلك الخلقة لبقي كاملاً، بريئاً من العيوب، ثم يعتريه النقص بفعل البشر، فيقطعون أذنه، ويوسمون وجهه، فطروء هذه النقائص يخرجه عن الأصل الذي خرج عليه، وعلى هذا فالقول بأن الفطرة خيرة بالأساس يصب في براءة الإنسان.

الفطرة نقطة التقاء الذكر والأنثى

كما أن الفطرة تُعد نقطة التقاء الذكر والأنثى أيضاً في: أن كليهما يتمتعا بفطرة خيرة بالأساس، برأ الله كلا منهما من وصمة السقوط المزعوم، فخروجهما من الجنة كان حدثاً مقدراً، وضرورياً؛ لحمل مهمة الخلافة في الأرض، وما الابتلاء بغواية الشيطان الأولى إلا تهيئة لكل منهما للقيام بتلك المهمة، وبيانا لحاجة الحرية التي يتمتعان بها للميزان والهدي المنزل.

معرفة كل امرأة

إن معرفة كل امرأة بأنها مفطورة على أشياء وضعها الله فيها، وجعلها من جبلتها، يجعلها على يقين أن خالق هذه الفطرة هو شارع الأحكام، بما يلائم هذه الفطرة «إذ يستحيل أن يكون في شرع الله أمر يخالف ويعارض ما فطره عليه، فالحكيم العالم بما خلق، ومن خلق يضع الشريعة المناسبة له والملائمة لخلقه».

الحفاظ على صلاح المجتمعات البشرية مرهون بتحقيق صلاح الإنسان

يقين كل امرأة

على المرأة أن توقن بأن تنظيم التشريع للفطرة يهيئ السبل السليمة لإشباع الغرائز؛ لئلا تنحرف إلى غيرها، فأمام كل فطرة -ولتكن النكاح وتصريف الشهوة- طريقان: إما الزواج المشروع الطاهر بما يحفظ الأعراض والأنساب والصحة، عن طريق الارتباط بين الرجل والمرأة بميثاق غليظ محوط بالحب والود والرحمة؛ اعترافاً من الشارع بأن ذلك الارتباط ضرورة من ضرورات الحياة كالطعام واللباس؛ حيث يقول -سبحانه-: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾، بل إن تعبير القرآن الكريم عن أصل الخلقة بأنه -سبحانه- خلقنا من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، يدل دلالة واضحة على الاتفاق في الميول والرغبات والاحتياجات العضوية والنفسية، وإما الزنا واللواط والسحاق، وسائر أشكال الشذوذ، وهذه حرمها الإسلام؛ لخرقها للفطرة التي فطر الإنسان عليها.

حذر كل امرأة

فقبول النساء بالزنا، أو الشذوذ، أو امتهان البغاء بدعوى تمكينها من جسدها (حق الاختيار)، أو استجابة لأية شعارات (حقوق إنسان)، سوف يُصلي البشرية ناراً في الدنيا، وستكون المرأة أول من يكتوي بشررها، وقد حذر النبي - ﷺ - من الأضرار الصحية، والأوبئة العامة، التي تترتب على شيوع الفاحشة في أي مجتمع، فقال: «لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا».

استنقاذ فطرة المرأة

لذا على المرأة أيا كان موقعها استنقاذ فطرتها من ركام تأثير البيئة المعاصرة، ومن تقليد الأولين شرقًا وغربًا، فيما يخالف فطرتها، وتعود بها إلى حقيقة وجودها، ومعدنها الأول، فالفطرة تحقق لها التوازن المطلوب، بين ما تنشده من مساواة، وما تمليه عليها فطرتها، **وكما يقول ابن عاشور**: «يشكل كل من أصل الخلقة الإنسانية وأصل تساوق الشريعة مع الفطرة أساساً لوصف المساواة. فبالأصل الأول يتساوى الخلق في عموم الخطاب الشرعي وفي الحقوق المتمثلة في الكليات الخمس، وبالأصل الثاني يتغير التساوي والتفاوت بينهم». كما أن الحفاظ على صلاح المجتمعات البشرية مرهون بتحقيق صلاح الإنسان، ولن يتحقق هذا الصلاح إلا بالحفاظ على سلامة فطرة الأشياء في هذا الكون؛ لتبقى مؤدية للغاية المنوطة بها، ولن يتم ذلك إلا بتكامل شقي الإنسانية: الذكر والأنثى.

● **المصدر: مركز باحثات لدراسات المرأة**



نسيان الجهر بالقراءة

■ **في الصلاة الجهرية بعض الأحيان أنسى الجهر في الركعة الأولى وأذكر في الركعة الثانية فهل علي جهر في الركعة الثانية فقط، أم أكمل سرا أم أسجد سجود السهو أم أعيد الصلاة؟**

● السنة الجهر بالفاتحة وما يقرأ معها من القرآن في الركعتين الأوليين من المغرب والعشاء وفي صلاة الفجر لفعل النبي -ﷺ-، لكن لو نسيت الجهر بالقراءة في الركعة الأولى فاجهر في الركعة الثانية ولا يلزمك سجود السهو لنسيانك الجهر في الركعة الأولى.

(اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء)

إذا رفع في الركوع وقال الله أكبر بدلا من سمع الله لمن حمده

■ **أسهو كثيرا في صلاتي فأحيانا في الركوع بدل أن أقول: «سمع الله لمن حمده»، أقول: «الله أكبر»، فهل في نهاية صلاتي أسجد سجود السهو؟.**

● إذا قلت الله أكبر بدل سمع الله لمن حمده سهوا فإنك تسجد للسهو؛ لأنك تركت واجبا من واجبات الصلاة سهوا، إذا كنت إماما أو منفردا أو مسبوقا بركعة من الصلاة أو أكثر، أما إن كنت مأموما من أول الصلاة فليس عليك سجود سهو في مثل هذا الأمر بل يتحمله عنك الإمام.

(اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء)

حكم إيذان هوام البيوت من غير الحيات

■ **هل يجوز مخاطبة سائر الهوام في البيت، أو إيذانهن لمدة ثلاثة أيام؟**

● الحديث ورد في الحيات ولم يرد في غيرهن، ومعلوم أن الحيات هن اللاتي ضررهن كبير، ويخشى منهن، وأما الحيوانات الأخرى فليس من شأنها أن تؤذي، والحيات هي التي يخشى منها.

(العلامة الشيخ عبد المحسن العباد البدر-حفظه الله)

تهنئة غير المسلمين بأعيادهم

■ **أنا أعيش مع أسرتي وهي غير مسلمة، وقد من الله علي بالإسلام فأسلمت والحمد لله، وأسرتي هذه عندما يأتي عيد الفطر وعيد الأضحى يهنئوني بالعيد، وعندما يأتي عيدهم ولا أهنئهم يزجرون مني ويقولون لي أنت رجل متكبر. ماذا أفعل؟.**

● لا يجوز لك تهنئة غير المسلمين بأعيادهم، وإن حصل لك ما حصل من الزجر، لكن يشرع لك تحبيب الإسلام إليهم ونصيحتهم بالدخول فيه بالرفق والأسلوب الحسن. نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يفتح على أسرتك بالدخول في الإسلام.

(اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء)

قراءة القرآن في غير الصلاة

■ **قراءة القرآن في غير الصلاة هل الأفضل فيها الجهر أم الإسرار؟**

● قراءة القرآن للشخص إذا لم يكن في الصلاة وليس بقربه أحد يتأذى برفع صوته، يراعى فيه الأصلح للقارئ من الجهر أو الإسرار مما يجمع قلبه على القراءة وتدبر معاني ما يتلوه من القرآن الكريم.

(اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء)

حكم قول الرجل لزوجته (انتقلي إلى أهلك) بقصد الهجر

■ **إذا قال الرجل لزوجته: انتقلي إلى أهلك، وهو يقصد بذلك هجرها مدة من الزمن لغضبه عليها، فهل يعد هذا القول طلاقاً؟**

● لا، ليس طلاقاً؛ لأن هذه من الكنايات، والكنايات لا تعد طلاقاً إلا إذا أريد بها الطلاق، وأما إذا لم يرد الطلاق فإنها لا تعد طلاقاً، لفظ الطلاق الصريح هو الذي يقع الطلاق به، وأما الكنايات فإنه إن أراد بالكناية الطلاق فهو طلاق، وإن لم يرد بالكناية الطلاق فإنه لا يعد طلاقاً.

(العلامة الشيخ عبد المحسن العباد البدر-حفظه الله)

الاحتفال بأعياد الكفار

■ **هناك من المسلمين من يحتفلون بأعياد غير المسلمين وأعياد ما أنزل الله بها من سلطان، مثل عيد الأم، عيد شم النسيم، عيد رأس السنة. ما حكم من يحتفل بهذه الأعياد؟**

● كل هذه أعياد بدعية لا يجوز الاحتفال بها ولا اتخاذها عيدا، وليس في الإسلام سوى عيدين: عيد الفطر، وعيد الأضحى، وعليه فعلى من نور الله بصيرته بمعرفة الحق في ذلك النصح والإرشاد برفق ولين لمن يقيم الاحتفال بهذه الأعياد البدعية، فإن أقلع عنها وإلا فهو مُصرٌّ على بدعة يأثم بفعلها.

(اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء)

المزاح الذي يتضمن الاستهزاء بأمور الدين

■ **يشيع بين الناس طرائف ونكت مبنية على أمور دينية تتصل بالله -عز وجل- أو الأنبياء -عليهم الصلوات الدائمة-، فكيف نحارب مثل هذه الأفكار الهدامة؟**

● الاستهزاء بالله أو بدينه أو برسوله أو أحد من أنبيائه ردة عن دين الإسلام، قال الله -تعالى-: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، فيجب الحذر من ذلك، ولو كان على وجه المزاح؛ لأن الله ذكر عن هؤلاء أنهم يقولون: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ ومع ذلك لم يعذرهم.

(اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء)

شروط قبول الدعاء

■ **الذكر والدعاء سلاحان تصفونهما لكل مؤمن فهل تشترطون شروطا لذلك؟**

● نعم، من أعظم الشروط الثقة بالله والتصديق له ولرسوله -ﷺ- والإيمان بأن الله هو الحق، ولا يقول إلا الحق، والإخلاص لله -سبحانه- والمتابعة لرسوله -ﷺ- مع الإيمان بأن الرسول -ﷺ- بلغ الحق وهو الصادق فيما يقول، وأن يأتي بذلك عن إيمان وثقة بالله ورغبة فيما عنده وأنه -سبحانه- مدبر الأمور ومصرف الأشياء، وأنه القادر على كل شيء -سبحانه وتعالى-، لا عن شك ولا عن سوء ظن بل عن حسن ظن بالله وثقة به.

وأنه متى تخلف المطلوب فلعلة من العلل المذكورة أو غيرها؛ فالعبد عليه أن يأتي بالأسباب، والله مسبب الأسباب وهو الحكيم العليم، وقد يحصل الدواء ولكن لا يزول الداء؛ لأسباب أخرى جهلها العبد، والله فيها حكيم -سبحانه وتعالى-، وهذا يشمل الدواء الحسي والمعنوي، الحسي الذي يقوم به الأطباء من أدوية وعمليات ونحو ذلك، والمعنوي الذي يحصل بالدعاء والقراءة ونحو ذلك من الأسباب الشرعية، ومع هذا كله قد يتخلف المطلوب لأسباب كثيرة منها الغفلة عن الله -سبحانه- ومنها المعاصي ولا سيما أكل الحرام وقد صح عن رسول الله -ﷺ- أنه قال: «ما من عبد يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته في الدنيا، وإما أن تدخر له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من الشر مثل ذلك، قالوا يا رسول الله إذا نكثر قال الله أكثر».

وبذلك يعلم المؤمن والمؤمنة أن إجابته قد تؤجل إلى الآخرة لأسباب اقتضتها حكمة الله -سبحانه-، وقد يصرف عنه بأسباب الدعاء شر كثير بدلا من أن يعطى طلبه، والله -سبحانه وتعالى- هو الحكيم العليم في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره كما قال -عز وجل-: ﴿إن ربك عليم حكيم﴾.

(سماحة الشيخ العلامة عبدالعزيز ابن باز - رحمه الله)

حكم نقض الوضوء من قارئ القرآن

■ **إذا بيدي المصحف أقرأ فيه، ثم وجدت في بطني ريحا، هل أخرجه وأنا أقرأ والمصحف بيدي، أم أضع المصحف وأقطع القراءة من أجل ذلك؟**

● خروج الريح من الدبر من نواقض الوضوء بإجماع العلماء، فإذا غلبك خروج الريح وأنت تقرأ القرآن فقد انتقض وضوؤك وأصبحت على غير طهارة، فلا يجوز لك الاستمرار بإمساك المصحف، بل تضعه في مكان طاهر، ولا يحل لك أن تمسه حتى تكون على طهارة كاملة من الحدث الأصغر والأكبر؛ لقول الله -تعالى-: ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ ولما صح عن النبي -ﷺ- أنه قال: «لا يمس القرآن إلا طاهر». ولك أن تقرأ القرآن عن ظهر قلب دون مس للمصحف إذا لم تكن جنبا؛ لما ثبت عن النبي -ﷺ-: «أنه كان لا يحجزه شيء عن القرآن إلا الجنابة» أخرجه الإمام أحمد في (مسنده) والإمام الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

(اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء)

أوراق صحفية

ليس في الدين قشور

سالم الناشي
رئيس تحرير مجلة الفرقان
٢٠٢٢/١/٣م

● **ليس في الدين قشور، بل كله لُبٌّ وأصل،** فلا يقال عن اللحية وتقصير الثياب ولبس النقاب قشور وأشكال ظاهرية، بل هي من الدين.

● **والاستهزاء بهذه الشعائر، سواء اللحية أم تقصير الثياب للرجل،** أم لبس المرأة للنقاب هو في الحقيقة استهزاء بدين الله، وقد عَدَّ الإمام الهيتمي هذا الاستهزاء من الكبائر. قال -تعالى-: {قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ} (التوبة:٦٥-٦٦).

● **والرسول -صلى الله عليه وسلم- هو الذي أمر بإعفاء اللحية، وتقصير الثياب،** ولبس النقاب؛ فالواجب طاعته وتعظيم أمره ونهيه في الأمور كلها.

● **ولا يجوز أن يقال عن المسلم: إنه ما أعفى لحيته أو قصر ثوبه،** ولا عن المسلمة بأنها ما لبست النقاب إلا شكلا، أو حبا في الظهور، أو أنهم يريدون أن يترفعوا على الناس بذلك، أو أنهم يرغبون في فرض أنفسهم عليهم، فلا يجوز التجني على المسلم؛ لمجرد أنه التزم سنّة نبيه -صلى الله عليه وسلم-.

● **نعم في الدين أصول وفروع، ولكن لا يقال عن الدين:** إن فيه قشوراً، أو قصوراً، بل يُخشى على من قال ذلك الوقوع في الردة.

● **ولا ينبغي أن نجامل أحدا في الدين، فما كان من الدين** نقول: إنه من الدين، ولا يجوز لنا أن نتهم مسلما أراد إعفاء لحيته أو تقصير ثوبه، أو امرأة أرادت لبس النقاب بأنهم يفعلون ذلك رياء وسمعة، لا يجوز أن نحكم على المسلمين بمثل هذا القول.

● **وينبغي لمن تصدى للعلم والدعوة أن ينشغل في دائرة التعليم والتوجيه** وفق المنهج النبوي: {وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} (آل عمران:١٥٩).

● **كما يجب أخذ المسلمين بالرفق في الخطاب وعدم التشديد عليهم؛** فالمسلمون رحماء فيما بينهم، ينصح بعضهم بعضا ويرفق بعضهم ببعض.

● **قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إنّ اللّهَ رَفيقٌ يُحبُّ الرِّفقَ، ويُعْطِي على الرِّفق ما لا يُعطي عَلى العُنفِ، وما لا يُعطِي عَلى ما سِواهُ».**









قناة الخير الثقافية
قسم الإنتاج الفني

قسم الإنتاج الفني متخصص في إنتاج البرامج التلفزيونية والفلاشات الإعلامية والجرافيك ومتخصص تصوير وتسجيل (الدورات العلمية ودروس المساجد) التي تقيمها الجمعية واللجان التابعة لها.



وحدة الإنتاج المرئي:

- وحدة التصوير والمونتاج متخصص في إنتاج البرامج التلفزيونية والإذاعية.
- وحدة بث وتشغيل قناة الخير الثقافية و تشغيل ومتابعة السوشيال ميديا الخاصة بالقسم (توتير وإنستجرام والفيس بوك واليوتيوب وصفحة القناة.
- تصوير المحاضرات والدروس وفعاليات الجمعية واللجان التابعة لها.

وحدة الإنتاج الصوتي:

- الاستديو الصوتي : يقوم الاستديو الصوتي بتسجيل الاصدارات الصوتية (القرآن الكريم - المحاضرات والدورس الخاصة بالقسم والجمعية واللجان التابعة لها وكبار علماء السلف في العالم الاسلامي) بتقنية صوتيه عالمية من خلال أجهزة وكمبيوترات مجهزة للمونتاج.
- الأرشيف الرقمي: نسخ وطباعة CD و DVD وتحويل الأشرطة القديمة إلي ملفات رقمية لإعادة نشرة من جديد ورفعها على المواقع الالكترونية.



25362528 - 25362529



جمعية صندوق إعانة المرضى
Patients Helping Fund Society
تجوز الزكاة
مـشروع علاج
مـرضى الـكلى
خـلّك
معاهم
قيـمـة
السـهم
10
د.ك